ثبات في الموضع
غربة ـ زهد ـ فقـــر اختياري

{١} مار إسحق السرياني	{٢} القديس يوحنا السلمي	{٣} الأنبا إشعياء الإسقيطي
{٤} مار أوغريس	{٥} كتاب فردوس الآباء	{٦} أنبا بيمن المتوحد
{٧} أغناطيوس بريانتشانينوف	{٨} القديس باسيليوس الكبير	{٩} القديس يوحنا السيوطي
{١٠} القديس يوحنا كاسيان	{١١} كتاب طريق النساك	{١٢} قديسون أخرون
{١٣} مار إفرام السرياني	{١٤} القديسة الأم سنكليتيكي	{١٥} القديس الأب زوسيما
{١٦} الأنبا بولا الطموهي	{١٧} قداسة البابا شنودة الثالث	{١٨} القديس ديادوخوس الناسك
{١٩} كتاب بستان الرهبان		

{١}
مار إسحق السرياني

🕮 إن الله منح الناس كرامة عظيمة، إذ حباهم علماً مزدوجاً {المعرفة الطبيعية التي منحها الله للإنسان، والمعرفة المكتسبة بواسطة الناموس}، وفتح لهم كل الأبواب المغلقة على مصراعيها، ليلجوا إلى معرفة الخلاص. أتريد شاهداً أميناً على هذه الأقوال؟

🕮 أدخل الى ذاتك {حيث يوجد السلم الذي يصعد بك إلي السماء} فتنجو من الهلاك {الذي يحيط بك من الخارج، ويحاول أن يدخل إلى قلبك}.

🕮 أما إذا أردت أن تعرف ذلك من الخارج أيضاً فلديك معلم {المخلوقات الطبيعية) آخر، وشاهد يقودك إلى طريق الحق بأمان.

الذهن المشوش لا يقدر أن ينجو من النسيان. والحكمة لا تفتح بابها لمثل هذا. من يستطيع أن يدرك بمعرفة صحيحة مصير الأشياء، وأين ستكون نهايتها، لن يحتاج إلى معلم آخر يرشده إلى الزهد بالدنيويات. إن الناموس الطبيعي الذي أعطاه الله للإنسان في البداية هو رؤية خليقته. أما الناموس المكتوب فقد أضيف بعد المعصية.

الغريب هو الذي لا يخطر بفكره، شيء من أمور هذا العالم، والمبتعد من كل اهتمام، وكل حديث بطَّال.

الغريب هو الذي تغرَّب بفكره من جميع أمور هذا العالم.

لا يستطيع الإنسان أن يكون بمفاوضة الله ومفاوضة الناس، ولا أن يكون قريباً من أهله الجسدانيين، ويقدر أن يدنو لشيء من الروحانيات، لذا فالغربة توافقنا كثيراً.

إن طبيعتك أصبحت قابلة للأهواء، وتجارب هذه الدنيا تفاقمت، والشرور ليست بعيدة عنك. بل تنبع منك، وتجري تحت قدميك. فلا تخرج من المكان الذي تقيم فيه، لأن الله سوف يحررك من التجارب متى يشاء.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة ـ صفحة ٣٥



أحبب الفقر بصبر، لكي يُحفظ ذهنك من التشتت.

امقت السعة لكي تُحفظ أفكارك بلا اضطراب.

ابتعد عن الاهتمام بأمور الدنيا الكثيرة، وركز اهتمامك على نفسك لكي تخلصها، وتؤمن لها السلام الداخلي.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والعشرون ـ صفحة ٨٩



من يهرب من راحة هذه الحياة، يبدأ ذهنه بمراقبة الدهر الآتي، أما المتعلق بحب القنية فهو عبد الأهواء.

لا تظن أن محبة القنية محصورة في كسب الذهب، والفضة فقط. بل إنها تشمل كل ما يمكن أن يقيد إرادتك.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والعشرون ـ صفحة ٨٩

١- إن النفس التي تحب الله لا تجد الراحة إلا فيه.

فاستدرك نفسك، وتحرر من كل رباط خارجي، لتتمكن من ربط قلبك بالله. لأن التحرر من المادة، يسبق الارتباط بالله.

الطفل لا يُعطى خبزاً، إلا بعد أن يُفطم عن الحليب. والإنسان الذي يبتغي الاتساع في الإلهيات، يجب أن يتغرب أولاً عن الدنيا، كما يتغرب الطفل عن ذراعي امه وثدييها.

من يقول انه ترك العالم ثم يتشاجر مع الناس من أجل حاجة من الحاجات، كيلا يخسر ما يوفر له الراحة، هو كفيف بالكلية. لأنه يبرهن من جهة على أنه ترك الجسد كله بإرادته، بينا يخاصم من جهة أخرى من أجل عضو واحد.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والعشرون ـ صفحة ٨٨

قال شيخ: أنا قلت لنفسي يوم خروجي من العالم: "هذا هو اليوم الذي فيه أكون قد ولدت {من جديد}، وبدأت بعبودية الرب. كذلك كن كل يوم بمنزلة الغريب الذي يترجى الرجوع بالغداة {لوطنه}".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٣

وقال أخر: حيثما تجلس قل: "غريب أنا، غريب أنا".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٣

لا يمكن أن تحقق عدم القنية، إذا لم تُقنع ذاتك، وتستعد للصبر على التجارب بفرح. ولا يمكنك أن تصبر على التجارب، إلا إذا آمنت أن هناك شيئاً أسمى من الراحة الجسدية، تستبدل به الشدائد التي هيأت نفسك للاشتراك بها.



📖 المستعد لقبول عدم القنية، تتحرك فيه محبة الضيقات أولاً، ثم يتولد فيه الفكر الذي يدفعه إلى عدم اقتناء شيء مما في هذا العالم.

📖 من يود الاقتراب من الضيق، عليه أن يتوطد في الإيمان أولاً، ثم يدنو من الشدائد.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والأربعون ـ صفحة ١٧٢

{٢}

القديس يوحنا السلمي

📖 **الغربة هي:** الأعراض النهائي عن كل شيء يعيقنا في وطننا عن بلوغ التقوى التي ننشدها، الغربة خلق عديم الدالة، وحكمة مجهولة عند الناس، وفطنة مخفية عنهم، وعيشة محتجبة، وغاية مكتومة، وتدبير خفي، وتوق إلى التذلل، واشتهاء للضيق، ومنطلق للشوق إلى الله، هي كثرة الحب، وجحود العجب، وتوغل في الصمت.

📖 إن الهاجس الذي يلح عادة على محبي الرب إلحاحا لجوجا ومتواصلا كأنه نار إلهية هو هاجس يحث عشاق الكمال في بدء زهدهم على الابتعاد عن الأهل طلبا للتذلل.

📖 إن كان «ليس لنبي كرامة في وطنه» كما قال الرب، فلنحذر ألا تصير لنا الغربة باعثا على العجب، لأن الغربة هي الانفصال عن كل شيء بغية بقاء الذهن غير منفصل عن الله، إنها شغف بالنوح الدائم على الخطايا أو سبب له، الغريب هو من يهرب من كل اتصال بأهله وبالغرباء عنه على السواء.

📖 احترس في تغربك من شيطان الجولان المحب للذة، فان الغربة تتيح له الفرص. صالح هو التجرد عن كل شيء والغربة تلده، فمن تغرب لأجل الرب فلا يتعلقن بشيء بعد لئلا يظهر وكأنه يدور في سبيل أهوائه.

📖 يا من تغرب عن العالم لا تعد تدنو إليه، لان الأهواء من طبعها تطلب العودة. لقد نفيت حواء من الفردوس كرهاً، وتغرب الراهب عن وطنه طوعا، أما تلك فلأنها لو بقيت لكانت ستشتهي شجره المعصية ثانية، وأما هو فلأنه لو بقي لكان ولا شك قد عرض نفسه للخطر كل يوم من جراء أهله بالجسد.

📖 اهرب من أماكن السقطات هربك من السياط، لأنك لا تشتهي الثمرة اشتهاء متواصلا إذا كانت غائبة عنك.

📖 اهرب من مصر ولا تلتفت إلى الوراء، لأن القلوب التي رجعت إليها لم تعاين أورشليم، ارض الانعتاق من الأهواء.

📖 متغرب حقا هو من يساكن قوما ويكون بينهم كمن لغته غير لغتهم، وذلك بمعرفة وليس عن جهل.

📖 ليكن أباك من يرضى ويستطيع أن يتعب معك في رفع حمل خطاياك عنك، ولتكن أمك التوبة القادرة على غسلك من أدرانك، وليكن أخاك من يكد ويناضل معك في الطريق إلى العلى.

📖 واقتن قرينة لا تنفصل عنك هي ذكر الموت، ولتكن أنات قلبك أولادك الأحباء، واملك جسدك عبدا لك، ولتكن أصدقاءك القوات القدوسة القادرة أن تنفعك وقت خروج نفسك.

📖 الشوق إلى الله يلاشي الشوق إلى الوالدين، ومن يزعم أنه يمتلك كلا الشوقين معا يضل نفسه.

📖 لننصرف من بلدنا إلى مكان اقل تعزية وشرفا وأكثر اتضاعا، وإلا فسنهرع إليه مصطحبين معنا أهوائنا.

📖 اكتم شرف نسبك ولا تتباه بسمعتك لئلا تكون في أعمالك على غير ما أنت عليه في أقوالك ... فكما أنه يستحيل الإشارة بعين واحدة إلى

السماء، وبالعين الأخرى إلى الأرض هكذا يستحيل ألا يتعرض للخطر من لا يتغرب بالتمام فكرا وجسدا عن جميع ذويه وغير ذويه. إن الخلق الصالح القويم لا يثبت فينا إلا بتعب وكد جزيل، ولكن ما حققناه بكد جزيل يمكن أن يتلاشى في لحظة واحدة، لأن المحادثات الرديئة الشائنة منها، أو العالمية البطالة على السواء، تفسد الطبائع الصالحة.

📖 من يخالط أو يجاور أهل العالم بعد زهده في العالم، لا بد أن يؤخذ في حبائلهم. كما إن الحلق يميز الأطعمة كذلك يميز السمع تعبير الأفكار. الحلم هو تحرك الذهن عند رقاد الجسد، الرؤيا خدعة للعين عند هجوع العقل، الرؤيا سهو للذهن في يقظة الجسد، الرؤيا مشهد لا أساس له في الواقع.

📖 إن شياطين العجب يتنبؤون لنا في النوم عن أمور وشيكة الحدوث يستدلون عليها بمكرهم، وإذا تحقق ما رأيناه في الحلم تعجبنا وتكبرنا كأننا أوشكنا على اقتناء موهبة معرفة المستقبل، وكثيرا ما يكون هذا الشيطان بمرتبة نبي عند الذين يصدقونه.

📖 كثيراً ما يغير الشياطين شكلهم إلى ملائكة نور أو هيئة شهداء ويصورون لنا في الحلم إنهم يظهرون لنا، وإذا أفقنا من النوم غمرونا بعجب وفرح باطلين، ولكن إليك هذه العلامة لفضح مكرهم: أن الملائكة الحقيقيين إنما يصورون لنا العقاب والدينونة والانفصال عن الله فنستيقظ مرتعدين مغمومين، أما إذا أخذنا نصدق الشياطين في أحلام النوم فإنهم سيلعبون بنا في اليقظة.

📖 من يصدق الأحلام هو عادم الخبرة بالكلية، ومن يكذبها كلها فهو حكيم صدق فقط الذين يبشرونك بالعقاب والدينونة، ولكن إن الم بك يأس من جراء ذلك فاعلم أن هذه الأحلام أيضاً هي من الشياطين.

📖 اِحسب نفسك غريباً كل أيام حياتك، وحيثما توجهتَ، ليمكنك ان تتخلص من الخسارة، التي تتولد من الدالة.

📖 كذلك ينبغي للمتوحد أن يكون له احتراس لا من الأفكار فقط، بل وبالأكثر من الأفعال، فيجب أن يحترس من الدِّنو إلى جسد إنسان بالكلية لأي أمر من الأمور، وألا ينظر سرير علماني، لئلا نضيّع هذا الزمان الذي أُعطى لنا لفلاحة الحياة، وعند موتنا نطلب زماناً للتوبة. ومحبة الله أساس الغربة، والعكس بالعكس.

📖 الإيمان والغربة، يميتان الجشع، بينما الحنق على القريب، والتودد إليه، يسلمان الجسد إلى أعدائه.

{٣}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 **الجهاد الأول:** قبل كل شيء هو حياة الغربة، لا سيما إذا كنت ستعيش منفرداً، وقد تركت كل مالك وأتيت إلى موضع أخر، مستعداً بالإيمان الكامل والرجاء وعزم القلب الثابت مقابل أهواء نفسك، فالأعداء سيحيطون بك في صفوف كثيرة ويرعبونك بالخوف من التجارب، ومن فقر شديد، وأمراض، فيوسوسون لك إذا كنت ستعيش هناك فماذا تفعل وليس هناك من سيهتم بك أو يعرفك؟ {الله} بصلاحه يختبرك لكي تظهر غيرتك ومحبتك له.

📖 فإذا جلست منفرداً في قلاية يزرعون في قلبك أفكاراً أكثر صعوبة {لكي تجبن وتخاف} قائلين: "ليست الغربة هي التي تخلص الإنسان بل ان تحفظ الوصايا" كما يوعزون إليك بان المناخ ضار بصحتك، وان جسدك ثقيل، ذلك لكي يضعف قلبك وتفتر همتك، ولكن إذا أقتني

قلبك المحبة والرجاء فلا يبقى لشرهم أي أثر، وتظهر غيرتك في النهاية أمام الله، إنك تحبه أكثر من راحة الجسد.

📖 ضيقة الغربة تقود الذين يحتملونَها إلى الرجاء، والرجاء يحفظهم إلى حد ما من جهة أمور الجسد، لأنك لم تأتي إلى الغربة بغير هدف، بل لكي تغذِ نفسك وتكرسها للجهاد مقابل الأعداء، ولكي تتعلم ان تغلبهم، كل واحد في حينه، حتى إذا أدركت راحة عدم الأوجاع صرت حرا، إذ تكون قد فزت بالغلبة في كل قتال في وقته.

📖 الأنبا إشعياء الإسقيطي عن الأنبا شيشوي:

📖 اقتن السكوت، وقُل في كل أمر: مَنْ أكون أنا؟ وما شأني بذلك؟ ولا تخالط أحداً من الذين في موضع سكناك في أمر من الأمور، فهذه هي الغربة.

📖 وقال أيضاً أنبا إشعياء:

📖 قبل كل شي: فإنّ أول حرب هي تلك التي من الغربة.

📖 ولا سيما لذاك الذي لكي يهرب إلى العزلة يهجر بيته، إلى موضع أخر، وهو ممتلئ بالإيمان، والرجاء، وعزم القلب على مقاتلة مشيئاته الخاصة. ففي الحقيقة إنّ الأعداء يطوّقونك بصفوف {أو رتب} كثيرة، ويُرعبونك بطرق عديدة. بالخوف من التجارب. أو الفقر المدقع. أو المرض.

📖 ويوحون لك بقولهم: إذا ذهبتَ إلى هناك فماذا ستفعل، حيث لا يوجد مَنْ يعرفك لكي يعتني بك'؟

📖 إنّ الله بصلاحه يمتحنك، حتى تظهر غيرتك وحبك لله.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٩٩

📖 وقال أيضاً:

📖 إذا أقرضت إنسانا شيئاً ما وتركته له، فقد تشبهت بطبيعة يسوع.

🕮 وإذا طالبته به، فقد تشبهت بطبيعة آدم.
🕮 أما إذا أخذت ربحاً، تكون قد سلكت مخالفاً لطبيعة آدم.
كتاب مقالات الأنبا إشعياء ـ تفسير تحذيرات أنبا إشعياء ـ فسرهم تلميذ مار إسحق السرياني ـ صفحة ٥٠

{٤}
القديس مار أوغريس

🕮 **الغربة هي:** أول الجهاد الروحي العظيم، ولا سيما إنك تقدمت إليها من كل ذاتك، وقد تركت عنك مدينتك، وأهلك، وأموالك بشجاعة، وتقدمت إلى الجهاد الحسن، فإنك بدأت تسلم ذاتك إلى هذا الطريق، فاحمل معك أمانة قوية، فتجد نفسك تسير في هذه الفضيلة سالما، وتكملها بالصبر.
🕮 لكن إبليس يتقدم بحيلة، ويذكرك بأهلك، الذين خرجت من عندهم، ويزرع داخلك هذه الأفكار، إذا أدركك مرض ماذا تعمل؟! من يهتم بك؟! فمن الأفضل لك أن تخرج من هذه الغربة، وأنت قوي؟ وهذه الأفكار تضعف نفسك في الشدائد، ويأتي العدو ومعه أفكار الظلمة ليطرحها عليك، لتظلم نفسك.

🕮 وعندما تقبل هذه الأفكار، وترفض الجلوس في البرية وحدك، ويسقط جسدك في مرض ما، يأتي العدو، ويجعل الغربة مرارة لنفسك، ويشكك قائلا: "الفضائل لا تقوم في البرية وحدها، ولكن في أي موضع، فيمكنك أن تكمل طاعة الوصية في موطنك، ولا سيما سيكون لك عزاء وسط أهلك، وتجد خدمة مخصبة لك في مرضك.
🕮 فلماذا أنت قائم هنا؟! قم أخرج، وفرح أهلك، أولئك الذين تركتهم حزانى، مكتئبين من أجلك، أنظر إن كثيرين قد صنعوا فضائل وسط أهاليهم، ولم يتركوا عنهم مدينتهم.
كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ١٧

📖 أما الراهب الحقيقي، فيخلع هذه الشدائد، ويلبس سلاح الله الكامل، في حرب الأعداء، ويشتمل بالرجاء المنتظر، الذي هو إكليل هذه الأتعاب، فإنه يستطيع أن يطرح هذه الأفكار، من قبل الشكر لله فقط، ويرتل مع داود النبي قائلا: "ليت لي جناحا كالحمامة فأطير، وأستريح. هاأنذا كنت أبعد هاربا، وأبيت في البرية " {مز ٦: ٥٥}.

📖 يرى الشيطان ثباتنا فيكثر من حيله، وينصب فخاخه لأرجلنا، من قبل إخوتنا، لذلك من يتقدم إلى هذه الفضيلة، فليفتش، ويعرف الحرب الذي يكون قبالته، ويكون شجاعا، مستعدا للقتال، لئلا يجده العدو نائم، فيسقطه مطروح، فإن ممارسة الفضيلة تظهر مكرمة، في وقت السلام، ولكنها مكرمة جدا في وقت القتال، فالذي يقول إني اقتنيت فضيلة بغير جهاد، فهو إلى الآن ممسكوك من الألآم، لأن شر الأعداء قبالة تعب الفضيلة، والقلب الذي ليس فيه قتال، ليس فيه فضيلة ولا شجاعة.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ١٨

📖 لا تحتاج إلى مجد الناس، ولا تفرح بالمجد الباطل، هذا الذي يكسب النفس الشرور، فإن بداية محبة الكرامة، هي مراضاة الناس، وعاقبتها عظمة القلب، والذي يطلب الكرامة، قلبه يتعظم، فلا يحتمل كلمة واحدة شتيمة، لأن شهوة الكرامة، هي محبة الظهور بين الناس، والذي يحب هذا، يشتهي أن يخدم ويخدم، أما أنت فليكن تعب الفضيلة كرمتك، احتمال الإهانة لك كرامة، ولا تطلب من ذي لحم، ودم، بل أطلب من الله، والكرامة تصير لك.

📖 الذي يريد أن يكرم، يحسد الذي كرمه الناس، ويبغضه بغير علة.
📖 والذي غلب من شهوة الكرامة، لا يريد الناس يكرمون أحدا غيره قبله، ويريد أن يختطف لنفسه العظمة، لئلا يظهر إنه ناقص، كما لا

يحتمل غيره أن يصنع أمرا فاضلا يستحق عليه الكرامة.

📖 رائحة رديئة هي الإهانة، عند محب المجد الباطل، فمثل هذا الإنسان، يشبه إنساناً عابدا لسيد وثني، وأيضا قد باع نفسه الأسياد كثيرة، أعني العظمة، والحسد، وغيرهما من الأوجاع الرديئة، فالذي يطرح عنه روح المجد الباطل بالتواضع، فإنه يطرح أيضاً جميع أوجاع الشياطين الكثيرة

📖 كثيرون قد مدحوا لأجل فضائلهم، ثم غرقوا في الأحزان.

📖 لأن محبة الكرامة تملكت على قلوبهم، وبطل جهادهم، فعندما يستغنى المجاهد بمديح الناس، حينئذ يأتي عليه الشياطين بالزلات، والذي ذاق المجد الباطل، لا يحتمل الشتيمة، ولا يسلك باتضاع.

كتاب تعاليم مار أوغريس - صفحة ١٩

📖 **٥ ...** لا حاجة لأن نشدد على عدم الاهتمام بالملابس، أو الطعام. المخلص نفسه نهي عن ذلك في البشائر: «لا تهتموا بما تأكلون، أو تشربون، أو ماذا تلبسون» {مت ١:٢٠}، مثل هذا القلق هو ما يميز الوثنيين، وغير المؤمنين، الذين نبذوا عناية الله، وأنكروا الخالق.

📖 وضعاً مثل هذا خاطئ تماما للمسيحيين، الذين يؤمنون أنه حتى العصفورين اللذان بيعا بفلس، مشمولان بعناية الملائكة القديسين {ق. م. مت١٠:٢٩}. الشياطين على أية حال بعدما يثيرون الأفكار الدنسة، يستمرون باقتراح مثل هذا النوع من القلق.

📖 لذلك ينأى يسوع بنفسه بعيدا»، بسبب تكاثر الاهتمامات في ذهننا {ق.م. يو ١٣٠٥}. الكلمة الإلهية يمكن ألا تحمل أثماراً، لكونها خنقت باهتماماتنا. دعنا إذا نهجر هذه الاهتمامات، ونطرحها أمام الله، ونكون مكتفيين بما عندنا في الوقت الحاضر، ونحيا في فقر، وخرق بالية، ولنخلص أنفسنا يوما فيوما من الأشياء التي تسقطنا في البر الذاتي.

📖 وإذا فكر أحد انه من العار أن يعيش في خرق، فيجب أن يتذكر القديس بولس الذي: «في برد وعري» انتظر بصبر: «إكليل البر» {كو.١١:٢٧، ٢تيم ٤:٨}.

📖 لقد شبه الرسول هذا العالم بسباق في حلبة {ق. م. اكو ٩:٢٦}. فكيف إذا يستطيع إنساناً متشحا بأفكار القلق أن يركض لينال «دعوة الله العليا» {في ٣:١٥}. أو يصارع مع «الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر» {اف١:١٢}؟

📖 أنا لا أتصور كيف يمكن هذا، آن متسابقا يتعرقل ويسقط بسبب ما يرتديه من ملابس، وكذلك يحدث أيضاً للفكر بسبب أفكار القلق، إذا في الحقيقة القول حقيقي بأن الفكر يُربط بكنزه الخاص، لذا قيل: «حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» {مت.١: ٢١}.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة وإعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٣٩

{٥}

كتاب فردوس الآباء

📖 ذهب الأب إيسيذوروس مرةً إلى البابا ثيوفيلس بطريرك الإسكندرية ثم رجع إلى الإسقيط، فسأله الإخوة: كيف حال مدينة الإسكندرية؟ فقال: الحق أقول لكم إنني ما أبصرتُ إنسانًا إلاّ البطريرك وحده".

📖 فلما سمعوا اندهشوا وقالوا له:" أَتُرى يا أبانا مدينة الإسكندرية خالية من الناس؟

📖 فقال: كلاّ، ولكن أفكاري لم تُرغمني على النظر إلى إنسان.

📖 فلما سمعوا ذلك تعجبوا، وبهذه الكلمات ثبّتوا عزمهم على عدم التطلُّع إلى أباطيل هذا العالم.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤١٣ ـ ٤١٤

📖 **سأل أخ أنبا شيشوي:** يا أبي، ما هي الغربة؟

📖 فقال: اقتنِ السكوت. وقُلْ في كل أمرٍ: مَنْ أكون أنا؟ وما شأني بذلك؟ ولا تخالط أحدًا، من الذين هم في موضع سُكناك، في أمرٍ من الأمور. هذه هي الغربة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٥٤

📖 **وسألتُه أنا أيضاً:** في أيِّ شيء تكمن قوة الغربة؟

📖 فقال لي: أينما تسكن تمسّك بالسكوت.

📖 وأي شيء تراه، لا تقُل عنه شيئًا، سواء كان جيدًا، أو رديئًا.

📖 وإذا سمعتَ أيّ شيء من إنسان، لا يوافق سيرة الحياة النسكية المستقيمة، فقُل: هذا لا يخصّني، ينبغي أن أكون فيما يخصّ نفسي، ونفسي فقط. هذه هي الغربة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٥٤

📖 **وقال أيضاً أنبا شيشوي:**

📖 تكمن الغربة في الإنسان الذي يعيش في حياة سكون وعزلة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٥٤

📖 **وكان أنبا شيشوي يقول:**

📖 الغربة تعني أن الإنسان ينبغي أن يضبط لسانه.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٥٤

📖 **وقال الشيخ سلوانس أيضاً:**

📖 كان عملي هو أن أهذّ على الدوام نهارًا وليلاً.

📖 وأن أذلّ نفسي، وأزدري بها، وأوبخها بالحقيقة في حضرة الله؟

📖 وألاّ أسمح لفكري إطلاقًا أن يرفع رأسي {يجعلني متكبِّرًا}. أو يفتح فمي. أو يجعلني أتباهى، أو أثق في أعمالي الخاصة بي.

📖 ففي الحقيقة، يا ابني زكريا، إنه عندما يعكف الإنسان على مثل هذا

العمل على الدوام لإذلال فكره، فهذا يكفي لخلاصه، لأنّ مثل هذا السلوك يزوِّده بالحزن، ومن الحزن تتأتّى له جميع الفضائل.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٦٤



📖 **قيل عن أبّا زينون:**

📖 إنه منذ البداية لم يرغب إطلاقًا أن يأخذ شيئًا من أحد.

📖 والذين كانوا يُحضِرون له شيئًا، كانوا يخرجون متضايقين، من أنه لم يقبل شيئًا. وجاء إليه البعض يريدون أن يأخذوا ثمة تذكار من شيخ عظيم مثله، ولم يكن لديه شيء يعطيهم إياه.

📖 وهكذا خرجوا هم أيضاً متضايقين.

📖 قال الشيخ في نفسه: ماذا أفعل؟ إنّ الذين يُحضِرون أشياء يتضايقون، وهكذا أيضاً الذين يريدون أن يأخذوا شيئًا؟

📖 قد علمتُ ماذا أفعل، وهو ما بدا لي صوابًا: عندما يُحضِر لي أحدٌ شيئًا أقبله، وأعطيه لأي إنسان يطلب شيئًا.

📖 وهكذا فعل وعاش في سلامٍ وأرضى كل واحدٍ.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٦٧



📖 **قال أبّا زينون تلميذ الطوباوي سلوانس:**

📖 لا تسكن في مكانٍ مشهور، ولا تجاور إنسانًا عظيم الاسم بسبب نسكياته، ولا تضع أساسًا لبناء قلاية لنفسك يومًا ما.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٦٨



📖 **جاء بعض الإخوة لكي يرو أبّا زينون وسألوه:**

📖 ما معنى هذا القول: «السماوات غير طاهرة أمام عينيه» {أي١٥: ١٥}؟ فأجاب الشيخ: إنّ الإخوة يتغاضون عن خطاياهم، ويستفسرون عن السماويات! هذا هو تفسير هذا القول: الله وحده هو الطاهر، لذلك قيل إنّ السماء ليست طاهرة أمامه.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٦٨



📖 كان أنبا ثيئودور البرامي قد اقتنى ثلاثة كتب جيدة.
📖 فذهب إلى الأب مكاريوس وقال له: عندي ثلاثة كتب ممتازة أنتفع بها، والإخوة أيضاً يستعيرونها وينتفعون منها، فقُلْ لي هل من الأفضل أن أحتفظ بها لفائدتي، وفائدة الإخوة، أم أبيعها وأعطي ثمنها للمساكين؟
📖 فأجابه الشيخ: أعمالك جيدة، ولكن الأفضل هو عدم القنية.
📖 فلما سمع ذلك باع الكتب وأعطى ثمنها للمساكين.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٧٧



📖 عندما كان الأب يوسف مريضًا مرةً، أرسل واحدًا ليقول للأب ثيئودور: تعالَ لكي أراك قبل أن أفارق الجسد.
📖 وكان ذلك في منتصف الأسبوع، فلم يذهب، ولكنه أرسل ليقول له: إذا انتظرتَ حتى يوم السبت فسأجئ، ولكن إذا رحلتَ فسنرى بعضنا بعضًا في الدهر الآتي!

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٨٢



📖 **قال لي أبّا يوحنا تلميذ الأب يعقوب:**
📖 كان أنبا موسى كثيرًا ما يقول في الإسقيط: إذا صنع الراهب مشيئة الرب، ولكنه سكن مع أهله حيث يرتمي عليهم، فسيُلقى هو أيضاً بعد الموت معهم.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٠١



📖 **قيل عن الأب أموي:**
📖 إنه عندما لزم الفراش بسبب مرضه لسنوات طويلة، لم يسمح لنفسه أن يفكر في محتويات قلايته، ولا أن ينظر إليها، لأن الناس جاءوا إليه بأشياء كثيرة لأجل مرضه.
📖 ولما كان تلميذه ق. يوحنا القصير يدخل أو يخرج، كان يغلق عينيه حتى لا يرى ما كان يفعله، لأنه علم أنه كان تلميذاً مخلصًا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥١٠



📖 **وقال لي هذا الأخ أيضاً:**

📖 قال لي الأب بفنوتيوس: قلتُ للأب أموي: كان هناك أخوان، وصار أحدهما راهبًا، ولم يحتفظ لنفسه بشيء قط من أجل الرب، وصار فقيرًا تمامًا لأجل الرب.

📖 ولكن الآخر ادّخر أشياء ضرورية للمعيشة، لكي يعطي صدقة لأخيه الفقير إذا جاء إليه، والذي كان يعمل لأجل معيشته.

📖 فمن منهما تفوق على الآخر؟

📖 فقال لي أبي أنبا أموي: ذاك الذي صار فقيرًا من أجل الرب هو الأعظم، لأن المسكنة من أجل الرب عظيمة، ولأنها تنطوي على ضيق، ومشقة شديدتين، بالنسبة للذين يقاسون منها.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥١١



📖 **وعظ أنبا يؤنس لأخيه:**

📖 جاء أخوه الأكبر وصار راهبًا، وكان أنبا يؤنس قد تقدّم عنه في مخافة الله، فلكي يجعله ينمو تحت نير الاتضاع الحقيقي، ولكي يسلِّم نفسه للفضيلة، ذكَّره بضيق فقره في العالم وقال له:

📖 يا أخي، اعلم أننا فقراء، وأننا محتقرون عند الناس، لذلك فلنثابر حسب مشيئة الله في هذا الدهر، لكي نأخذ كرامةً من الله، ونتمجد مع جميع قديسيه. وبهذا الكلام وما يشبهه صار أخوه راهبًا مختارًا، وأخذ أنبا يؤنس بيده في كل عملٍ صالح.

📖 قال أنبا يؤنس لأخيه: رغم أننا قطيع صغير في أعين الناس لكن فلنفرح ونتأمل في مقدار ما لنا من مجد في عينيّ الله.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥١٩ - ٥٢٠



📖 **الأنبا يؤنس يترك السلال ويهرب:**

📖 أراد القديس ذات يوم أن يبيع عمل يديه من السلال في الريف، وبينما كان سائرًا في البرية ثقلت عليه السلال، ثم التقى بجمّال مع

جماله؟

فقال الجمّال للأب: أعطني يا أبانا هذه السلال لأحملها لك، لأني أراك متعبًا. فأعطاه إياها، وسارا معًا.

ثم بدأ الجمّال يتفوّه بكلامٍ شائنٍ، وأحاديث خليعة كأهل العالم، ونظر أنبا يونس جمعًا من الشياطين حول الرجل، فللوقت ترك السلال وعاد إلى قلايته وهو يردِّد كلام المخلِّص: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» {مت١٦: ٢٦}؟!

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٣١



وقال أيضاً أنبا بنيامين:

الزهد فيما يتعلق بالنفس، يتضمن تقويم طرقها، وعاداتها، وكيفية تصرفها، وقطع أهواء النفس.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧١٥



الأب موسى المنحني:

سمعتُ أنّ أخًا كان يسكن في الإسقيط قال للأب موسى المنحني {من الشيخوخة}. يا أبي، إنني حزين بسبب كوني فقيرًا.

فقال له الأب موسى: أَلستَ في غاية الرضى أن تكون فقيرًا لأجل الرب؟ ولكن الرب لن يسمح أن يعوزك أي شيء مهما كان، بحيث إنه يكون لديك طعام كافٍ، بل ويفضل عنك ما تعطيه لآخرين.

هكذا ستجد حظوةً عند الرب عندما يحاكمك.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٣٣



قال الأب هيبريشيوس:

كنز الراهب هو الفقر الاختياري. فأجعل كنزك في السماء، أيها الأخ، لأن هناك توجد دهور من السكينة، والنعيم بلا نهاية.

كتاب فردوس الآباء - القديس الأب هيبريشيوس - الجزء الثالث ١٦٥



قال القديس نيلوس السينائي: إن أحببتَ السمائيات فمالك

والأرضيات، التي تمنعك من أن تطير إلى السمائيات؟!
كتاب فردوس الآباء - القديس نيلوس السينائي - الجزء الثالث ٢٣٣

📖 **قال الأب أوبربيوس:**
📖 الأمور الجسدية هي خليط من الأشياء، والذي يحب العالم يحب فرص السقوط، وعلى ذلك، فإذا فقدنا شيئًا، فعلينا أن نقبل ذلك بفرح وامتنان، متحققين أننا قد تحررنا من الاهتمام به.
كتاب فردوس الآباء - القديس الأب أورانيوس - الجزء الثالث ٢٤٣

📖 **سأل أخٌ أبّا أوبربيوس بخصوص حياته:**
📖 فقال الشيخ: كل تبنًا {عشبا}، والبس تبنًا، وارقد على تبن.
📖 وهذا يعني أن تحتقر كل شيء، واقتن لنفسك قلبًا من حديد.
كتاب فردوس الآباء - القديس الأب أورانيوس - الجزء الثالث ٢٤٤

📖 **سأل أخ شيخًا:** كيف أخلص؟
📖 فخلع الشيخ رداءه ومنطق به حقويه، ورفع يديه نحو السماء قائلاً:
📖 يليق بالراهب أن يتعرّى من الدنيويات، كما أنني عريان من الملابس.
📖 ويجب أن يصمد في صراعه مع أفكاره، مثل بطلٍ قوي، والبطل عندما يصارع يقف هو أيضاً عاريًا، وعندما يُدهَن بزيت {قبل المصارعة} يكون عاري الجسم تمامًا، وهو يتعلّم من مدرِّبه {أي من أبيه الروحي} كيف يصارع.
📖 وعندما يحاربه العدو يُلقي عليه ترابًا، الذي هو أمور هذا العالم، حتى يمكنه أن يمسك به بسهولة.
📖 فعليك أيها الراهب أن ترى ذاتك بطلاً، والله هو الذي يُريك كيف تصارع، لأنه هو الذي يعطي النصرة ويغلب لأجلنا،
📖 والذين يصارعون هم نحن أنفسنا، والمصارعون معنا هم الذين يناوئوننا، والتراب هو أمور العالم، وحيث ترى مكر العدو فانهض

وقاومه، وأنت عارٍ إذ تحرّرتَ من كل اهتمامٍ يخص هذا العالم.

وبذلك تغلبه، لأنه عندما يثقل الذهن باهتمامات العـالم، لا يمكنـه أن يتلقّى كلمة الله المقدسة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٣٩٤ - ٣٩٥



قال أحد الآباء:

لم يكـن الآبـاء الأولـون يرحلـون من مكـانهم إلاّ للأسـباب الثلاثـة الآتية: الأول: إذا تضايق أحدٌ من جاره، وكان من المستحيل عليه أن يُنقِّي قلبه من ناحيته.

والثـاني: إذا تجمَّـع حولـه الاستحسـان والمـديح المتكـاثر مـن بنـي البشر. والثالث: إذا لصقت به تجربة الزنى. عندما كـانوا يـرون أحد هذه الأسباب الثلاثة كانوا يرحلون.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤١٤



كان أحد الشيوخ يقول:

إذا أتت عليك تجربة في المكان الذي تسكن فيـه، فـلا تتـرك المكـان في وقت التجربة، لئلاّ تجد نفس التجربة في المكان الذي تهرب إليه، ولكن احتمل حتى تعبر فترة التجربة، وحينئذٍ يمكن أن يكـون رحيلـك بدون انزعاج، أو ضيق، لأنك حينئذٍ ترحل في وقت السلام.

أما إذا رحلتَ فـي وقـت التجربـة، فـإنّ كثيـرين سـيحزنون بسـببك، ويقولون إنك رحلتَ بسبب التجربة، وهذا يكون سبب عثرة لهم.

قال شيخ:

كما أنّ الشجرة لا تُنتج ثمارًا إذا كانت تُنقَلُ باستمرار وتُغـرَس فـي مكانٍ أخر، هكذا الراهب الذي ينتقل من مكانه إلى أخر، لا يمكنـه أن يُثمر {في الفضيلة}.

كتاب فردوس الآباء - الفصل الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤١٥



قال شيخ:

📖 كما أنّ الجندي عندما يذهب إلى القتال لا يهتم بمعرفة شيء عن الآخرين إن كانوا قد جُرِحوا أم خلصوا، وإنما يكون كل اهتمامه في نفسه، هكذا ينبغي أن يكون الراهب.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٣٤

📖 **سأل أخٌ شيخًا:** ما هي الغربة؟
📖 فقال الشيخ: أعرف أخًا كان يعيش في غربةٍ، ثم حدث أنه ذهب إلى كنيسةٍ، وتصادف أنه كانت هناك وليمة أغابي، وجلس الأخ ليأكل مع الإخوة، فقال بعضهم: مَنْ أدخل هذا الغريب معنا؟
📖 ثم قالوا له: قم اخرج من هنا، فقام وخرج كما أمروه بدون تذمُّر.
📖 ولما رأى أخرون ذلك حزنوا وخرجوا وأعادوه فدخل.
📖 ثم سألوه: ماذا كان في قلبك عندما أخرجوك وعندما أدخلوك؟
📖 فقال: فكّرت في قلبي أنني كلب، متى طردوني خرجت، ومتى استدعوني دخلت.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٤٣

📖 **أخٌ كان قد نُفِيَ، فسأل شيخًا قائلاً:** أريد أن أعود إلى مكاني.
📖 فأجابه الشيخ: اعلم يا أخي، أنه بمجيئك من بلدك إلى هنا سيكون الرب هو مرشدك، ولكنه لن يكون لك بعد ذلك إذا عُدت.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٦٠

📖 **قال شيخ:** في أي موضع سكنت، ليكن في فكرك أنك فلاح غريب، حتى لا تطلب أن تُلقي بقولك قدامك وتستريح.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٨٧

📖 **سُئل شيخ:** كيف أسكن في دير بدون قلق؟
📖 فقال: ذلك بأن تُعدّ نفسك غريبًا، ولا ترغب أن تكون لك فيه كلمة مسموعة، وأن تقطع هواك، ولا تعتبر نفسك شيئًا.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٠٦

🕮 **سُئل شيخ عن الغربة فقال:**
🕮 هي الصمت، وترك الالتفات إلى الأمور.

🕮 **قال شيخ:** كل موضع تذهب إليه احرص ألاّ تجعل ذاتك من أهل ذلك الموضع.

🕮 **قال شيخ:** أنا قلتُ لنفسي عند خروجي من العالم: إنني اليوم وُلدتُ، واليوم بدأتُ أعبد الرب، هكذا نكون كل يوم بمنزلة الغريب الذي يترجّى الرجوع بالغداة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٠٦

🕮 **قال أحد الآباء:** إن جحدتَ أنسباءك بالجسد مع أمور الجسد لأجل الله، فلا تنخدع بالرحمة على والدتك، أو أبيك، أو أخيك، أو أحد أنسبائك، لأنك قد تخلّيتَ عن هذه كلها.
🕮 أُذكر أنه في ساعة موتك لن ينفعك أحدٌ منهم.

🕮 أخٌ كان مسرعًا إلى المدينة، فطلب مشورةً صالحةً من شيخ.
🕮 فقال له: لا تسارع إلى المدينة، لكن اهرب من المدينة مسرعًا.

🕮 أُخبر أحد الرهبان أن أباه مات.
🕮 فقال للذي أخبره: كُفّ عن التجديف، فإن أبي لا يموت!

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥١٣

🕮 **قيل:** إن أحد الآباء كان يُقيم في البراري البعيدة ويصمت.
🕮 وفي أحد الأيام قال له تلميذه: لماذا تهرب يا أبي إلى البراري البعيدة، في حين أنني أسمع أن الذي يسكن بالقرب من العالم، ويقاتل أفكاره من أجل الله يكون أجره أكثر؟
🕮 فقال له الشيخ: حتى يصل الإنسان إلى رؤية ما رآه موسى النبي،



ويصير ابنًا لله، فهو ينتفع من الاقتراب من العالم.

📖 أما أنا فإنني ابن آدم، ومثل آدم أبي، الذي عندما أبصر ثمرة الخطية اشتهاها، فأخذ وأكل منها ومات.

📖 لذلك كان آباؤنا يهربون إلى البراري، حيث يقاتلون شهوة البطن لعدم وجود أطعمة، إذ لا يجدون الأشياء التي تلد جميع الأوجاع.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥١٧

📖 جاء لصوص إلى قلاية أحد الشيوخ وقت الصلاة.

📖 فقال للإخوة: أتركوهم يعملون عملهم، ونحن نعمل عملنا.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥١٧

📖 **قال شيخ:** لا تطلب أشياء كثيرة، لأنك لم تعاهد المسيح إلاّ أن تعيش معه بالفقر، لأن المسيح هو حياة النفس، فكل مَنْ اقتناه في قلبه، وفكره، وكل تصرُّفه، بامتداد عقله إليه، هو الذي ينجح في سيرة هذا العمر، وينال الحياة التي لا تزول.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥١٨

📖 أحد الحكماء نهب إنسان شرير ماله فلم يغضب عليه.

📖 فقيل له: كيف لم تغضب على الذي نهب مالك؟

📖 فقال: إنني شبّهته بالموت، لأن الموت ينزع كل إنسان من ماله ولا أحد يغضب عليه!

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥١٩

📖 **قال شيخ:** إذا أراد راهب أن يصنع خيرًا في موضعه ولم يقدر، فلا يظن أنه إذا غيّر موضعه يقدر أن يصنع ذلك الخير.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٣٣

📖 **قال الأب يعقوب:** إنّ الغربة أفضل من ضيافة الغرباء.

كتاب فردوس الآباء ـ القديس الأب يعقوب ـ الجزء الثالث ـ صفحة ١٢٠

{٦}

أنبا بيمن المتوحد

الشعـور بالغربـة

سأل أخٌ أنبا بيمن: كيف أسلك في المكان الذي أعيش فيه؟

فقال له الشيخ:" حيثما تسكن ضع في قلبك أنك غريب.

ولا تطلب أن تكون لك كلمة مسموعة.

أو أن تكون أول المتكلمين، وبذلك تكون في سلام.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦١٥

قال أنبا بيمن: مَنْ يعيش مع رفيق لـه، عليـه أن يكـون مثـل عمـودٍ حجري، إذا أُضيرَ لا يحزن، وإذا مُدِح لا ينتفخ.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦١٥



قال لي الأب أجويراس:

ذهبتُ مرةً إلى أبّا بيمن وقلتُ له: طُفتُ في أماكن عديدة لكـي أتخـذ لنفسي مقرًا، ولكنني لم أجد راحةً، فأين تريدني أن أسكن؟

فأجاب الشيخ: قلما توجد في أيامنا هذه أماكن مقفرة.

فابحث عن جماعةٍ كبيرةٍ {من الإخوة} واسكن معهم، واسلك بينهم كأنك غير موجود، وقُل إنني بلا همٍّ، وحينئذٍ ستجد الراحة العظمى.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦١٥

قال الأب بيمن: لا تقدِّر قيمة نفسك، ولكن اسكن مع واحدٍ يعرف كيف يسلك في حياته كما ينبغي.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦١٦



حدث مرةً في وجود أنبا بيمن أن تشاجر بائيسيوس {أخوه بالجسد} مع أخيه، ولكن الشيخ لم يقل لهما شيئًا.

وجاء أبّا أنوب {أخوه الأكبر} ورآهما يتشاجران فقال لأبّا بيمن:

لماذا تركتهما يتشاجران ولم تقل لهما شيئًا؟

فأجابه أبّا بيمن:" إنهما أخوان، وسيصطلحان مرةً أخرى.

فقال له أبّا أنوب:" ماذا تقصد؟ إنك رأيتهما على هذه الحال، وكل ما تقوله إنهما سيصطلحان؟

فقال له أنبا بيمن:" ضع في قلبك أنني لستُ هنا.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦١٦

سأل إخوةٌ شيخًا عن القول السابق:

فقال الشيخ:" كان بائيسيوس هذا أخو أنبا بيمن {بالجسد}، قد صارت له صداقة مع قوم خارج الدير، ولم يكن أنبا بيمن راضيًا عن ذلك.

فسأل أنبا أمون عن هذا الأمر، فقال له: ' أَأنت حيٌّ بعد يا بيمن؟

أمكث في قلايتك، وقُل لنفسك إنّ لك سنة وأنت ميت في القبر.

وكان بائيسيوس أحد إخوة أنبا بيمن الستة حسب الجسد، ولم يكن يسمع لنصائح أنبا بيمن. بالإضافة إلى أعماله الرديئة الأخرى، التي جعلت عقله يطيش من ذكر الله، والصلاة النقية.

ولما رأى أنبا أمون أن بائيسيوس لا يقوِّم حياته، نصح أنبا بيمن بتلك النصيحة، فتوقّف عن توجيه، وتوبيخ بائيسيوس. ولما تشاجر بائيسيوس مع أحد إخوته كعادته، سكت أنبا بيمن حفظًا لتوجيه أنبا أمون. أما أنبا أنوب - أخو أنبا بيمن الأكبر - فلم يكن يعلم بوصية أنبا أمون لأخيه، لذلك فقد وبّخه بحق، ولأن هذه الفرصة لم تكن مناسبة لكي يعرِّف أنبا بيمن أنبا أنوب بوصية أنبا أمون، قال له ذلك معتبرًا أنه غير موجود.

وحقًا أوصى أنبا إشعياء قائلاً: إن وعظتَ أخًا مرةً، واثنتين، ولم يقبل، فاقطع نفسك عنه، وإلاّ فأنت تقتل نفسك.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦١٦



لما سمع أنبا بيمن أنّ أنبا "نستير" موجود في المجمع {أي في الدير} اشتاق جدًا أن يراه، وأخبر أب الدير لكي يرسله ليزوره، ولكنه رفض أن يرسله وحده.

وبعد بضعة أيام شعر وكيل الدير ببعض أفكار تضايقه، فتوسل إلى أب الدير أن يرسله إلى أنبا نستير. فصرفه قائلاً: خذ أبّا بيمن معك.

ولما جاء وكيل الدير إلى أنبا نستير أخبره بأفكاره فشفاه منها.

وبعد ذلك سأل أنبا نستير أنبا بيمن قائلاً: من أين أتيت بمثل هذا الاتضاع، أنه مهما حدث من اضطرابٍ في المجمع لا تتكلم، ولا تتدخل، لكي تضع حدًّا للنزاع؟

ولما ضغط الشيخ أنبا نستير على أنبا بيمن أجاب قائلاً:

اغفر لي يا أبي، فعندما دخلتُ المجمع {في بدء رهبنتي}، قلتُ لنفسي: أنا والحمار واحد، فكما يُضرَب الحمار ولا يتكلم، ويُشتَم ولا يُجيب، هكذا أكون أنا، كما قال داود النبي الطوباوي: «صرتُ كبهيم عندك» {مز٧٣: ٢٢}.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦١٦



سأل إخوةٌ شيخًا:

لما سمع أنبا بيمن أن أنبا نستير كان في الكينونيون اشتاق أن يراه، فمَنْ منهما كان في مجمع الشركة، ومَنْ منهما أحب أن يرى الآخر؟ لأننا نجد في أول القصة أن أنبا بيمن اشتاق أن يرى أنبا نستير، وفي آخرها أن أنبا نستير اشتاق أن يرى أنبا بيمن!

فقال الشيخ: إنّ أنبا بيمن لما كبر في السنّ، وكان جالسًا في قلايته، اشتاق أن يرى أنبا نستير لما كان في مجمع الشركة في الدير.

ويوجد اثنان من الآباء يُدعيان "نستير": أحدهما هو الكبير رفيق أنبا أنطونيوس، وهو قبل أنبا بيمن بوقت طويل. والآخر هو أنبا نستير الصغير، الذي اشتهى أنبا بيمن أن يراه، بسبب كثرة فضائله،

وحرصه واتضاعه.

📖 ولما ذهب إليه سأله لماذا لا يتكلم إذا حدث سجس في الدير؟

📖 فأجابه قائلاً: أحسب نفسي أنني أنا والحمار في الدير شيئًا واحداً.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦١٦ - ٦١٧



📖 جاء يومًا قسوس المنطقة إلى الدير، وكانت المغارات خالية من ساكنيها لأنهم كانوا يحضرون القداس. فجاء أنبا أنوب إلى أنبا بيمن، واقترح عليه أن يدعو كلاهما رجال الله إلى المائدة، فظل أنبا بيمن صامتًا، ولم يستطع أحدٌ أن يُخرجه من صمته.

📖 وانتظر الأب الرد طويلاً فلم يُجِب بشيء، فمضى حزينًا جدًا.

📖 وبعد فترةٍ من الزمن سأل التلاميذ معلمهم أنبا بيمن عن سبب ذلك:

📖 فردّ قائلاً: ماذا تريدون يا إخوتي؟ ليس هناك مِنْ عجب، فأنا قد مُتُّ عن العالم، والميت لا يستطيع أن يتكلم.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦١٧



📖 **قال أخٌ: قال الأب بيمن:**

📖 "يوجد أمران كانا محقّقين عمليًا في الأيام السابقة، أما اليوم فقد اضمحلاّ من أيامنا. فسأله الأخ: ما هما هذان الأمران يا أبي؟"

📖 فأجاب الشيخ: الفقر والشدّة {الضيقة}.

📖 وقد كانا محبوبين قديمًا وليس الآن.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٦١



📖 **وقال أنبا أغاثون عن أنبا بيمن:**

📖 أنه في مرة صنع خمسين مكيالاً من حبوب القمح إلى خبز لحاجات المجمع، ووضعها في الشمس، ولكن قبل أن تجف رأي في المكان أمراً ضايقه. فقال للأخوة الذين كانوا معه: "أنهضوا وهيا بنا نمض من ههنا". فحزنوا جداً.

📖 ولما رأي أنهم اغتموا قال لهم: "هل تضايقتم بسبب الخبز؟ لقد شاهدت بالحقيقة رهباناً يهربون ويهجرون قلاليهم، بالرغم من أنها مبيضة جيداً، وكانت تحوي دواليب مملوءة من الكتب المقدسة، وكتب الخدمة، ولم يغلقوا حتى أبواب الدواليب، بل رحلوا تاركين إياها مفتوحة".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٧٢

{٧}

أغناطيوس بريانتشانينوف

الفصل الثامن والثلاثون

في الفقر أو التجرد

📖 كل من يدخل الدير، ويأخذ على عاتقه حمل نير المسيح الهين، ينبغي ألا يتوانى عن البقاء في الفقر، قنوعا بالضروريات فقط، وحافظا نفسه مما هو غير ضروري، من اللباس، والمقتنيات، وتوابع القلاية، فضلا عن المال. فالممتلكات، والثروات، والكنوز، هي أن نحوز ربنا يسوع المسيح فقط.

📖 إليه فقط. ينبغي أن ترنو عينا الذهن والقلب على الدوام. وعليه فقط رجاؤنا. وبه ثقتنا. وبإيماننا به، نكون أقوياء، أشداء، وفاعلين. ويستحيل على الراهب امتلاك مثل هذه الحالة في النفس، إذا كان يحتفظ بممتلكات.

📖 لقد أعطانا ربنا يسوع المسيح نفسه، وصية ترتبط بالفقر: «لا تكنزوا لكم كنوا على الأرض، حيث يفسد السوس، والصدأ ... بل اكنزوا ... في السماء» {متى٦:١٩-٢١}.

📖 وبعد أن سلمنا الرب الوصية، فسر لنا السبب، وقال: «لأنه حيث يكون كنزكم هناك تكون قلوبكم» {متى٦:١٩-٢١}.

📖 وإذا كان بحوزة الراهب مال، أو أشياء عزيزة على قلبه، فإن رجاءه وثقته لا تعود في الله، بل تنحصر بمقتنياته، فهو يضع كل ثقته بما يملك، ويرى السلطان والنفوذ فيما عنده، لا بل أنه يرى في ماله ومقتنياته، الوسائل التي بها سيتحاشى تأثير الشدائد والمحن، التي ستحل به في مسيرة حياته الأرضية.

📖 وفي مقتنياته يقوم حبه، وقلبه، وعقله، وكل كيانه. لا بل يلتصق قلبه بالأمور المادية، ويصبح قاسيا، وميتا بإزاء كل إحساس روحي، كما لو انه جسم مادي صلب لا إحساس فيه.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٢١٧

📖 وتكديس الأموال والمقتنيات، هي للراهب عبادة وثن، حسبما يقول الرسول {أفسس٥:٥}. وعبادة الأصنام، ورفض الله صنوان.

📖 الإنسان المادي سرعان ما يسود ويظلم، ليجني ثمار ضلاله. وفي ظلمته واسوداده، تراه يعول على الخيرات الأرضية، وينسى الموت الذي سيأتي لينتزعه من وسط خيراته.

📖 أما رأسماله وكل اهراءاته الممتلئة، التي كان يعول عليها، فتنتقل لسواه، دون أن يفيد منها، حتى ولو لأجل محدود، وبهذا يتغرب عن الله {لوقا١٢:١٥-٢٦}.

📖 أما الروح القدس، فيرثي لحال من خدعه ضلال الثروة، فيدخل إلى الأبدية بدون الروح، ويقول فيه: «هذا الذي لم يتخذ الله حصنا، بل على كثرة غناه اتكل، وبجرائمه اعتز» {مزمور٥٢:٨-٩}. وهكذا، فمن جراء ملاصقة الممتلكات الزائلة، ينمو رفض الله في أعماق النفس، ويعبر عن نفسه عند أول سانحة.

📖 وهذا يمكننا أن نعاينه من خلال القصة التالية التي حفظها لنا تاريخ الكنيسة: عاش كاهن يدعي بولس في البرية، على قمة جبل، وذلك

ليتجنب اضطهادا شنه عليه الوثنيون. وكان يمتلك كمية من الذهب.
🕮 انضمت إلى بولس هذا خمس عذارى راهبات، كن بدورهن يهربن من الاضطهاد نفسه. وتألقت العذارى الراهبات بالفضائل، وامتلأت نفوسهن من شذى الروح القدس. وكن ينسكن على مقربة من الكاهن بولس، عاكفات وإياه على الصلاة، وحفظ الوصايا الإلهية.

🕮 وحدث أن علم بأمرهن إنسان سيء النية والصيت، فوشي بهم جميعا إلى زعيم السحرة، في بلاط الإمبراطور الفارسي شابور قائلا: إن كاهنا مسيحيا يملك قدرا من الذهب خبأه على الجبل، ومعه خمس عذاري يعشن معه. فإذا كنت تطمع بالذهب، فأوص باعتقال هؤلاء، مخفورين ليمثلوا في حضرتك للمحاكمة.
كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٢١٨

🕮 أما إذا رفضوا التخلي عن إيمانهم، فما عليك إلا أن تقطع رؤوسهم، فيبقى الذهب لك. فأخذ الوالي بهذه النصيحة، وبادر إلى إصدار أمر باعتقالهم. فجيء بهم جميعا مخفورين، والذهب معهم، ومثلوا في حضرة الوالي للمحاكمة. وبعد التحقيق، قال الكاهن للوالي: ولأي سبب تأخذ ممتلكاتي مني، إن كنت غير مدان في جنحة، أو جريمة؟
🕮 فقال الوالي: لأنك مسيحي، ولا تطيع أوامر الإمبراطور.
🕮 فقال الكاهن بولس: يا سيدي، مرني بما تريد.

🕮 فقال الوالي: قدم العبادة للشمس، ومن ثم اذهب، أنت وأغراضك إلى حيث تشاء.
🕮 فنظر الكاهن إلى الذهب وقال: سأفعل ما تريد. للحال سجد أمام الشمس، وتناول من الطعام المقدم للأصنام، وشرب من دم الذبيحة.
🕮 فلما رأى الوالي أن أمله خاب، قال للكاهن بولس: إذا كنت تستطيع أن تقنع الراهبات أن يحذين حذوك، فيقدمن السجود للشمس، ومن ثم يتزوجن، ويستسلمن للرجال، يمكنك أن تأخذ ذهبك وراهباتك،

وتذهب حيث تشاء.

📖 فقام الكاهن بولس ومضى إلى الراهبات، وقال لهن: لقد أخذ الوالي أغراضي، وهو يأمركن أن تطعن الأوامر الإمبراطورية. وسجدت أنا للشمس، وتناولت مما يقدم للأصنام. وإني أمركن الآن أن تحذين حذوي

📖 فقالت الراهبات كما من فم واحد: أيها الرجل الشرير، ألا يكفيك هلاكك؟ كيف تتجاسر أن تكلمنا؟ لقد أصبحت يهوذا أخر، ومثله خنت المعلم والسيد، حتى الموت من أجل ذهبك. لقد أصبحت يهوذا أخر في طباعك. ومن أجل الذهب، رضيت أن تهلك نفسك.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٢١٩

📖 ناسيا أمر ذلك الغني، الذي قال لنفسه: «يا نفسي، كلي واشربي، فها أن لك خيرات كثيرة جعلت لسنين كثيرة» {لوقا١٢:١٩-٢٠}. وسمع بعد ذلك: "أيها الجاهل، الليلة تطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون؟" {لوقا ١٢:١٩-٢٠}.

📖 نحن نخبرك، كما لو أمام الله مباشرة، أن مصيرك محتوم ومعروف، وهو نفس المصير الذي آل إليه يهوذا الإسخريوطي، والرجل الغني. ولما قلن هذا بصقن في وجه الكاهن الجاحد.

📖 فأمر الوالي بجلد الراهبات، فجلدن بلا هوادة. وتحت الجلد والضرب، كن يصرخن ويقلن: «نحن نعبد ربنا يسوع المسيح، ولن نذعن لوصية الإمبراطور. ويمكنك أيها الوالي أن تفعل ما تشاء».

📖 حاول الوالي جاهدا أن يجد سبيلا إلى الذهب. فأمر الكاهن بولس أن يقطع بيديه رأس الراهبات العذارى الحكيمات، ظنا منه أن بولس سيأبى القيام بهذه المهمة، الأمر الذي سيجعله يحظى بما يريد.

📖 فلما سمع الشرير بولس ما أمر به الوالي، نظر إلى الذهب وقال للوالي: سأفعل كل ما تأمرني به. فاستل سيفا ودنا من الراهبات.

📖 فلما رأت الراهبات هذا ارتعدن، وبصوت واحد صرخن قائلات: "أيها الرجل الشرير، حتى الأمس كنت راعيا لنا. أما اليوم فقد أتيت كذئب لتفترسنا". أهذا تعليمك الذي كنت تردده على مسامعنا كل يوم، عندما كنت تعظنا، وتحضنا على الموت طوعا من أجل المسيح؟

📖 أنت لا تمتلك الحد الأدنى من الشجاعة للموت من أجله. ولم تتوان لحظة عن رفضه وإنكاره. أين الجسد والدم الطاهران اللذان كنا نتناولهما من يديك النجستين؟ وليكن بعلمك أن السيف الذي تمسك به في يدك، هو سبيلنا إلى الحياة الأبدية. إننا ماضيات إلى سيدنا يسوع المسيح. أما أنت، وكما سبق أن قلن لك، فتكون ابن جهنم مع معلمك يهوذا. فقام بولس وضرب أعناقهن بحد السيف.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٢٢٠

📖 بعد ذلك قال له الوالي: لم يقدم مسيحي واحد على طاعة الإمبراطور كما فعلت أنت. لذا فأنا لن أتمكن من إخلاء سبيلك، بدون قرار شخصي من الإمبراطور.

📖 وعندما اطلعه على ما أقدمت عليه، فإنه سيهبك كرامات عظيمة. أما الآن فكن معنا، وابق على مقربة منا. ثم أشار رجال الوالي إلى مكان إقامته، وفي الغد سوف يرفع تقرير للإمبراطور بشأنه.

📖 في تلك الليلة أرسل الوالي عبيده طالبا منهم أن يشنقوا الكاهن بولس في غرفته. وفي الصباح الباكر مضى هو نفسه إليه، وكأنه لا يدري ما حصل، فوجده في غرفته مشنوقا بحبل، فأعلن أمام الجميع أن الكاهن بولس قد انتحر.

📖 ثم أمر أن يحملوه خارج المدينة ويلقوه للكلاب. أما هو فأخذ الذهب ومضى {البترولوجيا الأبجدية، حياة أباء البرية الشرقيين، المجلد ٩، الفصل ١٩}.

📖 الراهب الذي يحيا في اليقظة، والرصانة، مميزا في نفسه خطايا

البشرية وسقطتها، يلاحظ بسهولة فائقة انه لدى تلقيه لسبب ما، شيئا قيما، أو مبلغاً من المال، سرعان ما يخامره شعور باتكاله على هذه المقتنيات، وفي الوقت نفسه يخبو في قلبه الاتكال على الله.

🕮 لذا عليه أن ينتبه ويتيقظ، والا فإن الانشغال بالأمور المادية سيظهر في قلبه. ويمكن للانشغال بالماديات أن يصبح هوى أيضاً، وبسبب هذا الهوى، يحصل رفض المسيح في القلب، على نحو لا يدرك، رغم أن الشفاه قد تستمر في الاعتراف به، وتناديه في الصلاة، وتكرز بمبادئه، وتعاليمه.

🕮 وعندما يطبق أحد الأهواء القاتلة على الإنسان، عندها تحتجب سائر الأهواء الأخرى وتصمت، فيكف الشيطان عن خلق الصراعات، والتجارب لهذا الإنسان، لا بل يبادر إلى حماية هذا الهوى القاتل، جاعلا إياه بمثابة كنز ثمين، يكون ضمانة لهلاكه.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٢٢١

🕮 والإنسان الذي تقتله الخطيئة في الصميم، وتجره إلى حافة الهاوية، يبدو في العادة قديسا، ومربيا للآخرين، تماما كما بدا الكاهن بولس للراهبات، وذلك إلى حين تعريه التجربة كما سبق أن عرت بولس الكاهن.

🕮 إن من يود أن يضع رجاءه وثقته وحبه على الله، عليه أن يلازم الفقر، وإذا وصل إليه مال، أو أمور ثمينة، عليه أن يبادر إلى استخدامها من اجل اقتناء الخيرات الأبدية {لوقا١٦:٩}.

🕮 أما بداية البركات الروحية كلها، فهو الإيمان بالمسيح، وبالإنجيل.

🕮 والإيمان الحي يثبت بحفظ وصايا الإنجيل، في الحياة والأفعال. وبداهة، أن حب المال، يمكنه أن يستأصل الإيمان من القلب، لأن حب المال هو أساس كل الشرور {١ تيمو٦: ١٠}

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٢٢٢

{٨}

القديس باسيليوس الكبير

هل يُترك المال المرفوض للأقرباء بالجسد؟

📖 **سألوه قائلين:**

📖 الساكن مع إخوة قد أسلموا ذاتهم للرب، هل يجوز له أن يترك كل ما له لأقربائه بالجسد ويرفضه، أم يوصيهم أن يعملوا كإرادة اللَّه؟

📖 **فأجاب:**

📖 لقد قال ربنا: "اذهب وبع أمْلاكَكَ وأعطِ الفقراءَ، فَيكونَ لكَ كنزٌ في السَّماء، وتَعالَ اتْبَعْنِي " {مت ١٩: ٢١}.

📖 وأنا أرى أن الذي يخرج من عند أهله، ويدخل إلى عبادة اللَّه، ينبغي له ألا يرفض أمواله على هذه الصورة {بتركها لهم}، لأنها قد صارت محرمة للَّه {مخصصة للَّه وحده وليس لغيره}.

📖 بل يدبرها كإرادة اللَّه، وبحرص، وتحرر.

📖 أما عن يده إن كان عارفاً مجرباً.

📖 وإما على أيدي قوم مختارين، قد ظهر من أعمالهم أنهم مدبرون أمناء حكماء، عارفاً أنه خطر أن يتركها لأقربائه بالجسد، وأن يجعل من ليس هو {آمين} كما وصفنا، يتولى تدبيرها.

📖 فإن المال الذي لملك أرضي: إذا تولى إنسان تدبيره، ولم يسرق منه شيئاً، لكنه سلمه لمن هو غير آمين، ولا مدبر، لا ينجو من العقوبة، فكيف بمال قد صار مخصصاً للملك الأعلى، إذا لم يُحترس في أمره، ولا سيما وقد كتب: "مَلْعونٌ مَنْ يَعمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بتوانٍ" {إر ٤٨: ١٠}. فلنتحفظ من كل جهة، كي لا نوجد ـ من قبل توانينا ـ مخالفين للوصية بسبب تكميل وصية أخرى.

📖 ولهذا أيضاً ينبغي لنا ألا نخاصم الذين يظلموننا، ويمنعوننا شيئاً من مالنا، لأن عبد الرب ينبغي له ألا يخاصم كما قال الرسول، بل ينبغي له أن يتعزى بقول الرب: "ليسَ أحدٌ تَـرَكَ بَيْتـاً ... أو حُقـولاً، لأجْلِـي ... إلاَّ ويَأخُذُ مِئةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذا الزَّمَـان ... وفـي الـدَّهْر الآتِـي الحياة الأبَدِيَّةَ" {مر ١٠: ٢٩ ـ ٣٠}.

📖 وينبغي أن يشهد للذي ظلمه، ومنعـه مالـه بخطيـة "سـارق الهيكـل" لأن الرب قال: "إذا أخطأ إليك أخـوك امـض وبكتـه ... " {لـو ١٧: ٣، مت ١٨: ١٥}.

📖 وأما المحاكمة في مجلس القضاء الذي للبرانيين، فالكتب المقدس قد منعتنا من هذا، لأنه قد كتب أن: "ومَنْ أرادَ أنْ يُخاصِمَكَ ويَأخُذَ ثوبكَ فاترُكْ لهُ الرِّدَاءَ أيضاً" {مت ٥: ٤٠}.

📖 والرسول يقول: "أيَتَجَاسَرُ مِنكُم أحدٌ لهُ دَعْوَى علـى آخَـر أنْ يُحَـاكَم عِندَ الظَّالِمِينَ، وليسَ عِندَ القِدِّيسِينَ؟" {١كو ٦: ١}.

📖 وإذ قد عرفنا أن الذين يأخذون مالنا ظلماً، هم مطالبون بـه، فينبغـي أن نطلب لهم عند القديسين، لأنه يجب علينا أن نهتم بخلاص نفوسنا، وبخلاص إخوتنا.

📖 لأن ربنا عندما قال: " إنْ سَمِعَ مِنْكَ" لم يَقُل "قد ربحـت مالـك" بـل قال: "قد رَبِحَتَ أخَاكَ" {مت ١٨: ١٥}.

📖 وأما إن كان الذي ظلمنا هو الذي يسوقنا إلى مـن يسـمع كلامـه مـع كلامنا، فينبغي أن نتبعـه لتحقيـق الأمـر، لا لنشفـي ألـم الغضـب، ولا محبة في المال.

📖 وبالجملة فلنجتهد في ألا نخرج عما أمرنا به في جهة من الجهات.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الأول ـ إصدار دير السريان ـ صفحة ٢٠٩ ـ ٢١١

عــدم الـقـنـيـة

في أنه يجب للناسك المتعبد في الشركة
ألا يترك له شيئاً يخصه بالجملة

والذي يصنع هكذا فليعلم:

أنه قد أفسد قانون المجمع، عندما انفرد بشيء لذاته وحده.

وأنه يظهر علامة قلة الأمانة، وهو غير مصدق أن اللَّه يقيت عبيده.

بل هو مكذب لقول داود النبي "كنت صبياً، وقد شخت، ولم أر صديقاً تخلى الرب عنه، ولا زرعه {نسله} يطلب خبزاً"

وإذا كان الموضع الذي يكون فيه اثنان، أو ثلاثة مجتمعين بِاسم المسيح، يكون هو في وسطهم كما قال، فكم بالحري الموضع الذي تكون فيه جموع من الرجال الأبرار مجتمعين باسمه، كيف لا يكون في وسطهم؟!

فما دام المسيح معنا، فلنعلم أننا لا نعجز شيئاً ضرورياً.

كما أن بنى إسرائيل لم يعجزوا في البرية شيئاً، من الأمور الضرورية في ذلك الزمان.

فإن عجزنا شيئاً بتسامح من اللَّه، على سبيل امتحان عزيمتنا، فجيد هو أن نكون عاجزين ما نحتاج إليه بالجسد، ونحن مع المسيح بالروح؛ أفضل من أن نكون عاجزين مستوفين للأمور الزائلة، وننفصل من شركة المسيح.

فالذي يترك لنفسه شيئاً يخص به ذاته وحده؛ فهو يشير على ذاته خفية أن يفترق من {جماعة} الشركة.

وهذا يكون مارقاً، وبائعاً خلاص نفسه بالأشياء الدنيئة الفانية.

واحتملوني يا إخوتي فإني أتجرأ وأقول: إن هذا يكون مثل يهوذا حسب ما أمكنه.



لأن ذاك بدأ هكذا بهلاكه، من جهة السرقة التي قادته إلى محبة الفضة، إلى أن أسلم سيده للموت، وافترق من أخوته، فحرم ما فازوا به من نعمة.

وهكذا الذي يترك لنفسه شيئاً يختص به دون أخوته، فهو سارق لهذا الشيء، وستقوده محبة القنية، إلى أن يفترق من أخوته، ويسلم صاحبه للهلاك، وسينال النقمة بدلاً من النعمة.

وقانون سيرتنا هو ألا نفترق من المجمع الذي لبسنا فيه الإسكيم.

وألا يقتنى أحد منا شيئاً لذاته وحده.

وألا يصنع شيئاً في الخفاء.

وبالجملة لا يعمل شيئاً فيه خسارة لأحد منا.

فينبغي لنا يا أحبائي أن ننقي إنساننا الجواني، من جميع أدناس الأفكار المرذولة، التي تخبط مسكن الروح الذي هو داخلنا؛ كالمكر والزنا والحسد والمقاومة. فإن هذه الشرور تقلع المحبة منا.

وتبعد الله من نفوسنا.

لأنه إذا كان الله تعالى هو المحبة كما مكتوب؛ فالإنسان الذي فيه من الشرور يبعد من المحبة، وهو غريب عن الله.

فلنحصن أفكارنا، حتى لا نفكر البتة في الأرضيات.

ولنتأمل نفوسنا، حتى لا نغفل عن إرادة الله.

ولنعلم أن الله تعالى هو الصالح وحده، الذي منه كل صلاح، ولا شر فيه البتة. فإذا سمح الله أن تصيبنا أتعاب وتجارب، لكي نتوب، ونقوم سيرتنا؛ فلا نضجر ونفكر ردياً.

فإن الله هو طبيب النفوس، الشافي لها من أمراضها، بما ينبغي لها من الأدوية. فإذ قد عرفنا هذا يقيناً؛ ينبغي أن نشكر الله دائماً في كل حال؛ وأن نفكر فيه هكذا.



أما الأمور الثقيلة التي يجلبها الرب علينا لبرئنا؛ فهي تطهرنا من الكسل والخبث. وأما التجارب التي تحل بمن يمتحنه الرب من صديقيه، كإبراهيم، وأيوب؛ فليست تحل بكثيرين؛ وإنما تحل بقوم قلائل أبرار على سبيل الامتحان.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثالث - صفحة ٢٠٤ - ٢٠٥



قال القديس باسيليوس:

لا تبحث عن سير أهل العالم التي لا تنفع.

لا تحب الأسفار، والتجول في القرى والبيوت، بل اِهرب منها لأنها فخاخ للنفوس.

وإذا أراد أحدٌ أن يُدخِلك بيته لثقته فيك، فليتعلّم هذا الإنسان أن يتبع إيمان قائد المائة الذي قال للسيد: «لستُ مستحقًا أن تدخل تحت سقفي» {مت٨: ٨}، فإن إيمانه أفضل من كل شيء.

كتاب فردوس الآباء - القديس باسيليوس - الجزء الثالث - صفحة ٩١



قال الأب كاسيان:

كان أحد الشرفاء قد ترك كل شيء، ووزّع ممتلكاته على الفقراء، وأبقى لنفسه القليل لاحتياجاته، لأنه لم يرغب في قبول المسكنة الناتجة عن ترك كل شيء، ولا هو أراد أن يخضع لنظام الدير.

فأرسل القديس باسيليوس إليه قائلاً: لقد فقدت رتبتك الشريفة دون أن تصير راهبًا.

{٩}

القديس يوحنا السيوطي

عن المسكنة والفقر:

مسكنة الجسد هي التجرد من المقتنيات، وضعف قوة الحواس، لأن

المسكنة التي من المقتنيات هي خارجة عن النفس.

📖 ومسكنة النفس من العالم عبارة عن التجرد من الأفكار المرذولة.

📖 والتجرد من الأفكار المرذولة، هو غنى معرفة النفس.

📖 ومسكنة طبيعتها {الضارة} في هذه الحياة، هي نقص المعرفة، وعدم الفهم، وقلة التمييز.

كتاب الآباء الحاذقون في العبادة - الجزء الثاني - القديس يوحنا السيوطي - صفحة ٨٣

📖 **عن التجرد:** التجرد الجسداني هو: ترك المقتنيات.

📖 والتجرد النفساني هو: التعري من الآلام.

📖 والتجرد الروحاني هو: إبطال الظنون.

📖 ههنا نتجرد من المقتنيات، ويمكننا أيضاً أن نتجرد من الآلام.

📖 وأما التجرد من الظنون، فلا يكون إلا في الحياة التي بعد القيامة.

كتاب الآباء الحاذقون في العبادة - الجزء الثاني - القديس يوحنا السيوطي - صفحة ٨٤

في قول سيدنا طوبى للمساكين بالروح

📖 إن الذين يريدون أن يتدبروا بسيرة الكمال فليبدئوا بالبعد عن العالم، لأن الرباطات البشرية إنما تعوق الضمير.

📖 وهكذا إن لم يحل الإنسان نفسه من العالم لا يستطيع أن يسير في هذا الطريق، الذي تهيأ بالمسيح بالأحزان.

📖 وطريق العالم معوق، لأن السائرين في سبل هذا العالم إنما أملهم في تحصيل القنية، ونياح التنعم الزمنى.

📖 وأما الذين يسيرون في طريق الحياة أملهم في الحياة الكاملة، والمواعيد العتيدة التي توجد في بلد المجد.

📖 ولا يستطيع الإنسان أن يمشي في الطريقين.

📖 إن الذين ضبطوا التجرد في نفوسهم فإن الازدراء بالعالم لا يعذر عليهم. والصبر على الأحزان، والضيقات، والجوع، والعرى، والحزن، والنوح، والنسك، هذه كلها توجد عند قليلين بعد التجرد.

📖 لهذا وضعت سيرة النوح بعد سيرة التجرد في التعليم.

📖 لأنه إن لم يقصد الإنسان أولا التجرد، فإنه لا يستطيع أن يدنو من الحزن والنوح، لأن حياتنا لا تستطيع أن تدوم في صحة الروح ما دمنا مالكين في نفوسنا شيئا معوقا، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يقتنى حب الله إذا كان حب الاقتناء متحرك فيه لأنه مكتوب: من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني " مر٨: ٣٤ ".

📖 إن الإنسان لا يستطيع أن يحمل الصليب دون أن يجحد العالم، بل ينبغي له أن يبتعد عن كل الأشياء.

📖 إذ أن كل العزاء الخارجي يعطله عن الشيء الذي يقتنيه، فلا يمكن أن يثبت الحق في إنسان إلا إذا قطع أولا من ضميره أصل محبة المال. ولا يستطيع أن يسكن حب المسيح في الضمير إن لم يتجرد أولا من حب المال.

📖 الذي يريد أن يجمع عقله في هذه السيرة فليبعد نفسه عن كل الأشياء، ولا يكون له اهتمام بشيء إلا بأن يقيم نفسه بلا عيب قدام الله. لأننا إذا رغبنا في هذا نصل سريعا إلى الامتلاء.

📖 وكذلك ازدرائنا بالأشياء الحاضرة يقدمنا لغنى المواعيد.

📖 لا تحزن إذا كنت متوحدا في مسكنك.

📖 ولا تكتئب إذا لم يكن لك حاجة لقوام حياتك.

📖 بل كن مكتفيا بنعمة الله التي تجعل حياتك فاضلة في العالم الجديد، عوضا عن هذه الأمور الحاضرة. يكفيك هذا لعزائك.

📖 فلا تندم ولا تحزن أيها الإنسان عندما تكون فقيرا ومحتاجا من أجل الله، لأن رجاء عزائك هو في الملكوت.

📖 ولا تصغر روحك إذا تضايقت بالجوع والعرى ولا تضجر، بل افرح وابتهج بالرجاء الموضوع لك.

{١٠}

القديس يوحنا كاسيان

مراحل الزهد الثلاث
وعمل النعمة في جهادنا للأنبا بفنوتيوس

📖 **١- سيرة الأنبا بفنوتيوس:**

📖 في وسط تلك الجوقة من القديسين الذين يلألئون في ليل هذا العالم كنجوم لامعة، رأينا الطوباوي بفنوتيوس مثل كوكب عظيم يضئ بنور المعرفة.

📖 يقطن هذا الشيخ في برية الإسقيط، في قلاية سكن فيها منذ صباه، تبعد خمسة أميال عن الكنيسة، ولم يتركها.

📖 وبالرغم من شيخوخته إلا أنه لم يكف عن الذهاب إلى الكنيسة يومي السبت والأحد، بل ويعود إلى قلايته حاملا على كتفيه إناء مملوء ماء يستخدمه طول الأسبوع. ولم يكن يثقل على الصغار بإحضار الماء له، بالرغم من بلوغه التسعين من عمره.

📖 سلك هذا الأب في الرهبنة منذ صباه المبكر بغيرة متقدة، واقتنى الاتضاع في فترة قصيرة، وصارت له معرفة بكل الفضائل الحميدة.

📖 وباتضاعه وطاعته أمات كل شهواته قامعا أخطائه، متمتعا بالفضائل التي يتطلبها النظام الرهباني، وتعاليم الآباء الأولين، ملتهبا بالغيرة على مداومة النمو.

📖 كان أيضاً تواقا نحو الانسحاب في داخل البرية منفردا، من غير أي صحبة بشرية تقلقه، وتعوق التصاقه بالله.

📖 وبغيرته المتزايدة فاق النساك في الفضيلة، كما برز في شوقه نحو حياة التأمل الإلهي المستمر، متجنبا رؤية الإخوة.

📖 ولقد كان يختفي عن الإخوة فترات طويلة في مناطق قاحلة شديدة الوحشية والقسوة، حتى أن النساك أنفسهم كانوا يقتدون به من وقت إلى أخر بكل مشقة.

📖 وكان يسود الاعتقاد بأن هذا الأب يتمتع بالوجود في مجمع ملائكي يبتهج معهم يوميا، لهذا لقبه البعض Bufflo.

📖 **٢- حديثنا معه:**

📖 وإذ كنا مشتاقين إلى الاستماع إلى تعاليمه، جئنا باهتمام إلى قلايته مساء. وبعد فترة وجيزة من السكون، بدأ الشيخ يمدح اهتمامنا، لأننا بسبب محبتنا لله تركنا منازلنا، وقمنا بزيارة الكثير من المواضع، محاولين أن نحتمل بكل طاقتنا متاعب البرية، مقتدين بحياتهم القاسية التي يندر أن يقبلها حتى من بين أولئك الذين يولدون، وينشئون في حالة من العوز والاحتياج.

📖 لقد أحببنا المجيء بقصد الإنصات إلى التعاليم والإرشادات، لنتعرف على مبادئ رجل عظيم كهذا، وندرك الكمال الذي سمعناه عنه من شهود قائمين معه.

📖 فنحن لم نأت لنسمع مديحا لا حق لنا فيه، أو لكي نزهو بغرور عقلي ... من أجل هذا توسلنا إليه أن يقدم لنا تعليما نتعلم به الاتضاع والتوبة، لا أن نسمع ثناء ينفخنا.

📖 **٣- أنواع التكريس:**

📖 قال الطوباوي بفنوتيوس: للتكريس ثلاثة أنواع.

📖 كما نعرف أن هناك ثلاثة أنواع للزهد {أو الترك}، الذي هو لازم للراهب أيا كان تكريسه.

📖 يلزمنا أولا: أن نختبر باجتهاد أن السبب في قولنا بوجود ثلاثة أنواع من التكريس، هو أنه إذ نتأكد أننا قد دعينا لخدمة الله، نتنبه ونحن في الدرجة الأولى من التكريس، إن كانت حياتنا تسير مع

العلو الشاهق الذي دعينا إليه. لأنه باطلا أن نبدأ بدءا حسنا، ما لم نتطلع تجاه النهاية التي نُرسل إليها.

📖 ثانيا: على أي الأحوال من المفيد لنا أن نتعرف على الجوانب المثلثة للزهد، لأنه لا يمكننا بلوغ الكمال ما لم نتعرف عليها، أو إذا عرفناها ولم نعمل بها.

📖 ٤- أنواع الدعوة:

📖 الفارق الرئيسي بين أنواع الدعوة الثلاثة، هو:

📖 أن النوع الأول مصدره الله. والثاني عن طريق إنسان.

📖 والثالث بطريق الإلزام. الدعوة التي من الله، تأتي من خلال الوحي الذي يملك على قلوبنا ... إذ تتحرك فينا الرغبة في الحياة الأبدية، والخلاص، فتأمرنا أن نتبع الله، ونلتصق بوصاياه بقلب منسحق، في حياة مقدمة لله. ففي الكتاب المقدس نجد إبراهيم يدعوه صوت الله أن يترك أرضه وعشيرته، وبيت أبيه {تك١٢:١}.

📖 وسمعنا أيضاً عن الطوباوي أنطونيوس، أنه دعي بنفس الطريقة، إذ سمع صوت الله وحده ... لأنه عندما دخل إلى الكنيسة سمع الإنجيل فيه يقول الرب: "إن كان أحد يأتي إلى، ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا" {لو١٤:٢٦}.

📖 "إن أردت أن تكون كاملا، فاذهب وبع أملاكك، وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني"{مت١٩:٢١}.

📖 لقد شعر في انسحاق قلبي أن هذا الحديث الإلهي موجه إليه هو شخصيا، ففي الحال ترك كل شيء وتبع السيد المسيح، من غير أن ينتظر نصيحة، أو تعليم من إنسان.

📖 والنوع الثاني من التكريس، وهو الذي يحدث عن طريق إنسان، أي عندما نسير مقتادين بآثار بعض القديسين ونصائحهم، فتلتهب فينا الرغبة في الخلاص.

📖 وإن كنا نثار بنصائح القديسين الطيبة، ونقتدي بهم، إلا أنه يجب ألا ننسى أن نعمة الله هي التي تدعونا، وتعمل فينا، لنكرس نفوسنا، ونقدمها للدعوة.

📖 أما النوع الثالث من التكريس فهو الذي يأتي بطريق الإلزام.

📖 فبينما ننشغل بغنى هذه الحياة وأطايبها، فجأة تلحق بنا تجربة فتهددنا بخسارة، أو موت أحد أعزاءنا ... وهذا يدفع بنا إلى الاقتراب نحو الله، الذي استهنا بالسير معه، خلال أيام ترفنا.

📖 ٥- أهمية التطلع إلى الدرجة العالية من الزهد:

📖 وبالرغم مما يبدو أن النوعين الأولين للدعوى متأسسين على مبادئ أعظم، إلا أننا نجد أن النوع الثالث {الذي مصدره الإلزام}، ولو أنه أقل منهما، لكن عن طريقه صار البعض كاملين، ومجتهدين في الروح.

📖 بينما نجد البعض ممن هم من النوع الأعلى، أصيبوا بالفتور، وانتهت حياتهم بصورة محزنة.

📖 مثال: فالأب موسى الذي كان يقطن في برية Calamus اضطر إلى الهرب إلى الدير خوفا من الموت، بسبب جرائمه مقدما توبة إجبارية، لكنه باختياره تسلق أعلى مرتفعات الكمال.

📖 ومن الجانب الآخر هناك كثيرون لا أستطيع أن أذكر أسماؤهم، دخلوا خدمة الله بأفضل بداية، لكن تسلل الكسل، والقسوة إلى قلوبهم، وسقطوا في جمود خطير، وانحدروا إلى عمق هاوية الموت.

📖 ويظهر ذلك بوضوح في دعوة الرسل، لأنه أي نفع ناله يهوذا الذي احتضن بمحض اختياره نعمة الرسولية العظمى.

🕮 بنفس الطريقة التي سار فيها بطرس، وغيره من الرسل المدعوين، لكنه سمح لهذه البداية الرائعة لدعوته أن تختتم بنهاية مهلكة بسبب الجشع، وصار مجرما قاسيا حتى اندفع نحو خيانة الرب.

🕮 وما الذي عاق بولس الذي صار أعمى فجأة، والذي كما لو كان قد سحب بغير إرادته إلى الخلاص، إذ تبع الله بغيرة روحية كاملة؟! وهكذا ابتدأ مجبرا، وكمل تكريسه بحرية اختياره، بالغاً إلى نهاية مدهشة، متمتعا بمجد أعمال مجيدة.

🕮 فالأمر إذن يتوقف على النهاية، فقد يبدأ شخص بتقديم توبة فائقة، لكنه يفشل خلال إهماله. وآخر قد يسلك طريق الرهبنة جبرا، لكنه يبلغ الكمال خلال جهاده ومخافة الله.

🕮 ٦- دعوة إبراهيم وأنواع الزهد:

🕮 والآن لنتحدث عن الزهد الذي أعلنه الكتاب المقدس، والتقليد في أنواع ثلاث، ليتأمله كل إنسان بدقة لكي يصير كاملا.

🕮 النوع الأول: هو الذي يختص بالجسد، فيزهد الإنسان الثروة والممتلكات التي في هذا العالم.

🕮 والنوع الثاني: فيه ننبذ أساليب السلوك، والرذائل القديمة، الخاصة بالروح والجسد.

🕮 والنوع الثالث: فيه تتحرر الروح من كل الحاضرات والمرئيات، متأملة في الأبديات، فينشغل القلب بغير المنظورات.

🕮 لقد سمعنا أن الله طلب من إبراهيم أن ينفذ هذه الأنواع الثلاثة {من الزهد} دفعة واحدة، إذ قال له: "اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك" {تك١٢: ١}. قال له أولا: "اذهب من أرضك" أي من ممتلكات هذا العالم وغناه الأرضي.

📖 ثانيا: "من عشيرتك"، أي من حياتك السابقة، بما فيها من عادات وخطايا، تعلقت بك منذ الميلاد الأول، وارتبطت بك كما لو كانت رباطة صداقة وقربى.

📖 ثالثا: "من بيت أبيك"، أي من كل ما في العالم، وتراه عينيك، فعن الأبوين[1] ينبغي ترك أحدهما، والبحث عن الآخر.

📖 إذ يقول داود في شخص الرب: "اسمعي يا بنت، وانظري وأميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك" {مز٤٥:١٠}.

📖 فالذي يقول "اسمعي يا بنت" بالتأكيد هو أب ... ذاك الذي يطلب منها أن تترك شعبها {عاداتها القديمة}، وبيت أبيها، وهذا يحدث بالموت مع المسيح عن هذا العالم.

📖 وكما يقول الرسول: "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى، بل إلى التي لا ترى، لأن التي ترى وقتية، وأما التي لا ترى فأبدية" {٢كو٤:١٨}. محولين عيوننا عن هذا المسكن الزمني المنظور.

📖 رافعين عيون قلوبنا نحو الأمور الأبدية النافعة لنا.

📖 وهذا يمكننا النجاح فيه، عندما لا نضاد الله، ونحن في هذه الحياة، معلنين بتصرفاتنا وأعمالنا، عن طريق الحق الذي يقول عنه الرسول الطوباوي: "فإن سيرتنا نحن هي في السماوات" {في٣:٢٠}.

📖 لقد وضعت الأسفار الثلاثة {الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد} بطريقة متناسبة مع أنواع الزهد الثلاثة.

📖 سفر الأمثال: يتفق مع النوع الأول من الزهد، حيث فيه نضغط على شهوات الأمور الجسدية، والخطايا الأرضية.

📖 وسفر الجامعة: يتناسب مع النوع الثاني إذ يعلن أن كل شيء تحت الشمس باطل.

[1] يقصد الأب الأرضي والأب السماوي.

📖 وسفر نشيد الأناشيد: يناسب النوع الثالث، حيث تسمو الروح عن كل المنظورات، ملتصقة بكلمة الله، عن طريق التأمل في السماويات.

📖 خطورة التوقف عند الدرجة الأولى:

📖 إذا نفذنا النوع الأول من الزهد بكل إخلاص وأمانة، فإننا لا ننتفع كثيراً، ما لم نكمله بالنوع الثاني بنفس الغيرة والاشتياق.

📖 فإذا ما نجحنا في هذا يمكننا أن نبلغ النوع الثالث، حيث نخرج من "بيت أبينا" القديم، إذ "كنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً" {أف٢:٣}، مثبتين أنظارنا تجاه العلويات.

📖 ويحدث الكتاب المقدس أورشليم – التي احتقرت الله الأب الحقيقي – عن الأب القديم قائلا "أبوك أموري، وأمك حثية" {حز١٦:٢}.

📖 وفي الإنجيل جاء: "أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" {يو٨:٤٤}.

📖 فإذ نترك هذا الأب، عابرين من المنظورات إلى غير المنظورات، نستطيع أن نقول مع الرسل: "لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السماوات بناء من الله، غير مصنوع بيد أبدي" {٢كو٥:١}.

📖 ونقول أيضاً: "فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها أيضاً ننتظر مخلصا هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده" {في٣:٢٠،٢١}.

📖 وننطق بما يقوله داود الطوباوي: "غريب أنا في الأرض" {مز١١٩:١٩}.

📖 يلزمنا أن نكون مثل أولئك، الذين يحدث الرب أباه عنهم قائلا، في الإنجيل: "ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم" {يو١٧:١٦}.

📖 وأيضا محدثا التلاميذ أنفسهم قائلا: "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم" {يو١٥:١٩}.

📖 إذن يمكننا النجاح في بلوغ الكمال عن طريق النوع الثالث من الزهد، حيث لا تتلطخ الروح بوصمات أثقال الجسد، إنما تنفضها عنها بكل عناية، متحررة من كل رغبة، أو أمر أرضي، فترتفع إلى غير المنظورات عن طريق التأمل المستمر في الأمور الإلهية.

📖 وفي بحثها عن العلويات والروحيات، لا تعود تشعر بانجذاب إلى ذلك الجسد الضعيف وهيئته، إنما تسلك في "الذهن" حتى أنه ليس فقط لا يسمع الإنسان بأذنيه الخارجتين، أو لا ينشغل بالأمور الحاضرة، إنما لا يرى حتى ما في يديه، ولو كانت أمور ضخمة واضحة.

📖 لا يقدر أحد أن يدرك قوة ما أقوله، ما لم يختبر، ويتعلم هذا بالتجربة، فلا تتطلع عيني روحه إلى الحاضرات، إنما ينظر إليها كأمور سريعة الزوال، بل ويراها أنها فعلا قد انتهت، وباطلة، وتشبه البخار المعتم.

📖 وبهذا يكون كأخنوخ الذي "سار مع الله" {تك٥:٢٤}، ولم يوجد في الحياة البشرية وعاداتها، أي لم يعد بين أباطيل هذه الحياة.

📖 هذا ما حدث بالفعل بصورة مادية لأخنوخ كما يعلمنا سفر التكوين "وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه" {تك٥:٢٤}.

📖 ويقول الرسول أيضاً "بالإيمان نقل أخنوخ لكيلا يرى الموت" ذاك الموت الذي تحدث عنه السيد المسيح في الإنجيل قائلا: "وكل من كان حيا وآمن بي، فلن يموت إلى الأبد" {يو١١:٢٦}.

📖 فإن كنا نتوق إلى بلوغ الكمال الحقيقي، يلزمنا أن نتطلع إلى الأبديات. فإن كنا حسب الخارج لنا جسد، {لهذا ننشغل بآبائنا ومنازلنا وجاهنا ومباهج هذه الحياة}، لنترك بقلوبنا من الداخل هذه الأمور، ولا نعود نشتاق إلى ما قد تركناه، فلا نصير كأولئك الذين قادهم موسى.

📖 لأن هؤلاء إن لم يرتدوا بالجسد {حرفيا}، غير أن قلوبهم قد ارتدت إلى مصر، وذلك بتركهم الله الذي قادهم بعلامات قوية، وعودتهم إلى عبادة تماثيل مصر، التي حسبوا أنهم قد احتقروها.

📖 ويقول الكتاب: "ورجعوا بقلوبهم إلى مصر قائلين لهرون اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا" {أع٧:٣٩،٤٠}.

📖 وهكذا نسقط في نفس اللعنة التي سقطوا فيها في البرية، بعدما أكلوا المن النازل من السماء، مشتهين طعام الخطية النجس، أو بالأحرى راغبين في الانحطاط، متذمرين معا في نفس الطريق. {عد١١:٥،١٨، خر١٦:٣}.

📖 ويحدث معنا نفس الأمر في سلوكنا وحياتنا، فالبعض بعدما يترك هذا العالم، يعود مرة أخرى إلى شهواته الأولى، متحولا إلى ميوله السابقة الكائنة في قلبه، صانعا ما صنعه أولئك.

📖 وإنني أخشى أن يتزايد عددهم ليبلغ ذلك العدد المتخلف وراء موسى، إذ كانوا ثلاثة آلاف وستمائة رجل مجند قد خرجوا من مصر، ولم يدخل منهم إلى أرض الموعد سوى اثنين فقط.

📖 ويلزمنا أن نكون حذرين في ضرب الأمثلة الخاصة بالصالحين، لأنهم قليلون ونادرون، إذ يتحدث الإنجيل عن عددهم قائلا: "لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون" مت٢٢:١٤.

📖 فالترك المادي {الجسدي} ومجرد تغيير المكان... {أي الخروج من العالم إلى الدير} ليس له أي فائدة ما لم ننجح في أن يكون الترك من القلب، الأمر الأسمى والأقيم.

🕮 فعن الترك الجسدي المجرد – الذي تحدثنا عنه – يقول الرسول: "وإن أطعمت كل أموالي، وإن سلمت جسدي حتى احترق، ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئا" {١كو١٣:٣}.

🕮 فيتنبأ الرسول الطوباوي، بأن بعضا من الذين يقدمون كل أموالهم لأجل إطعام الفقراء، لا يستطيعون بلوغ الكمال الإنجيلي، ومرتفعات المحبة الشاهقة.

🕮 لأنه بينما يحكم الكبرياء، وعدم الصبر على قلوبهم، لا يحرصون على نقاوة أنفسهم من جهة خطاياهم السابقة، وعاداتهم غير المضبوطة. وبذلك لا يقدرون أن يحصلوا على محبة الله التي لا تسقط. هؤلاء بفشلهم في بلوغ المرحلة الثانية من الترك، لا يقدرون أن يصلوا إلى المرحلة الثالثة، التي هي بالتأكيد أكثر علوا.

🕮 لتأخذ في اعتبارك بحرص عظيم، أنه لم يقل باطلا: "إن أطعمت كل أموالي"، لئلا يظن أحد أنه يتحدث عمن لا ينفذ وصايا الإنجيل، محتفظا لنفسه بنصيب كأولئك الذي يعرجون بين الفرقتين.

🕮 لذلك قال: "وإن أطعمت كل أموالي"، بمعنى: أن تركه للعالم تركا كاملا. ويضيف إلى هذا الزهد أمرا في منتهى الأهمية وهو "وإن سلمت جسدي حتى احترق، ولكن ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئا".

🕮 بمعنى إذا أطعمت كل أموالي للفقراء، طبقا لوصايا الإنجيل الذي يخبرنا: "إن أردت أن تكون كاملا فذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء" {مت١٩:٢١}.

🕮 أي تترك كل شيء من غير أن تترك لنفسك شيئا، وهذا التوزيع للأموال يضاف إليه الاستشهاد باحتراق جسدي، وإعطائه للمسيح.

📖 فإنه إن كنت حاسدا، أو متكبرا، أو منجذبا بخطايا أخرى، أو أنانيا، أو منغمسا في الأفكار الشريرة، أو غير مستعد، ولا صابر على ما يحل بي، فإن هذا الترك، أو الاحتراق الخاص بالإنسان الخارجي لا ينفع شيئا، لأن الإنسان الداخلي لا يزال مشغولا بالخطايا السابقة.

📖 لأنه خلال غيرتك التي هي في الأيام الأولى للتوبة، اهتممت بترك المادة {أي الخروج إلى الدير والعطاء المادي}.

📖 هذه الغيرة ليست خيرة، ولا شريرة في ذاتها.

📖 وهذا أمر ليس بذي أهمية {ما لم يتبعه ترك داخلي في القلب}.

📖 أي ما لم أهتم بطرد القوة الشريرة التي للقلب الرديء، بنفس الاهتمام {الخاص بالترك المادي}، وأهتم أن أنال محبة الله، وهي: أن أصبر، وأترفق، ولا أحسد، ولا أتفاخر، ولا أنتفخ، ولا أطلب ما لنفسي، ولا أظن السوء، وأحتمل كل شيء، وأصبر على كل شيء. {١كو١٣:٤-٧}. وأخيرا فإن المحبة لا تترك من يتبعها، لئلا يسقط في خداعات الخطية.

📖 ٨- ضرورة ممارسة الدرجة الثانية من الزهد:

📖 يجب علينا أن نحرص تمام الحرص، أن نطرد كل تلك الممتلكات التي للخطية في إنساننا الداخلي ونقتلعها، تلك التي كانت مرتبطة بحياتنا المادية، وملتصقة على الدوام بالجسد والروح. فإن لم ننبذها ونحن بعد في هذا الجسد، فإنها لا تكف عن الالتصاق بنا حتى الموت.

📖 فكما أن الفضائل الجميلة، والمحبة التي هي مصدر هذه الفضائل، يمكننا أن نقتنيها في هذه الحياة، فإنها تبقى مع من اقتناها بعد هذه الحياة، وتجعله محبا وممجدا، هكذا أيضاً أخطاؤنا تنتقل إلى حياتنا، فتظلم عقلنا وتلطخه بصنوف القاذورات.

📖 فجمال الروح، أو قبحها، هو نتيجة فضائلها، أو رذائلها.
📖 فباللون الذي تصطبغ به، تصير ممجدة، حتى تسمع من النبي: "فيشتهي الملك حسنك" {مز٤٥:١١}.

📖 أو يجعلها سوداء، وقبيحة، وقذرة، وتتأكد من نتانة عارها قائلة: "قد أنتنت، فاحت خبر ضربي من جهة حماقتي" {مز٣٨:٥}.
📖 ويحدثها اللـه ذاته قائلا: "فلماذا لم تعصب بنت شعبي؟" {إر٨:٢٢}.
📖 وبهذا تبقي معنا ممتلكاتنا في روحنا على الدوام، هذه التي لا يستطيع أن يغتصبها منا أي ملك أو عدو. هذه هي الممتلكات التي لا يستطيع حتى الموت أن ينزعها عن أرواحنا.

📖 ٩- أنواع الممتلكات والغنى:

📖 يذكر الكتاب المقدس ثلاثة أنواع من الغنى، أو الممتلكات:
📖 ما هو صالح ـ وما هو رديء ـ وما هو ليس بالصالح ولا بالرديء.
📖 فالممتلكات الرديئة تلك التي قيل عنها: "الأشبال احتاجت وجاعت" {مز٣٤:١٠}، "ولكن ويل لكم أيها الأغنياء، لأنكم قد نلتم عزاءكم" {لو٦:٢٤}، انتزاع هذا الغنى فيه سمو في الكمال، إذ يقول الرب عن الفقراء {الذين ليس لهم هذا الغنى}: طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات" {مت٥:٣}. وجاء في المزمور: "هذا المسكين صرخ والرب استمعه" {مز٣٤:٦}.

📖 وأيضا "الفقير والبائس ليسبحا اسمك" {مز٧٤:٢١}.
📖 والغنى {الممتلكات} الصالح هو ما يمتلكه مقتني الفضائل ... صانع البر الذي يمدحه النبي داود قائلا: "نسله يكون قويا في الأرض. جيل المستقيمين يبارك. رغد وغنى في بيته، وبره قائم إلى الأبد" {مز١١٢:٢،٣}. وأيضا "فدية نفس رجل غناه" {أم١٣:٨}.

📖 ويتحدث سفر الرؤيا إلى المفتقر، والمعدم من هذا الغنى قائلا: "أنا مزمع أن أتقيئك من فمي. لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك أنت الشقي، والبائس وفقير وأعمى وعريان. أشير عليك أن تشتري مني ذهبا مصفي بالنار لكي تستغني. وثيابا بيضا لكي تلبس، فلا يظهر خزي عريتك" {رؤ٣:١٦-١٨}. هناك أيضاً الغنى الذي ليس بصالح ولا رديء، فيمكن أن يكون صالحا، أو رديئا، حسب رغبة مستخدمه، وشخصيته.

📖 وفي ذلك يقول الرسول الطوباوي: "أوص الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى، بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع، وأن يصنعوا صلاحا، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة، وأن يكونوا أسخياء في العطاء، كرماء في التوزيع. مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية" {اتي٦:١٧-١٩}.

📖 هذا الغنى احتفظ به الغني المذكور في الإنجيل، ولم يقبل أن يعطي الفقراء، بينما كان لعازر المسكين ملقيا عند بابه، يرغب أن يقتات بالفتات الساقط من مائدته، لذلك عوقب بالنيران غير المحتملة، ولهب جهنم الأبدية.

📖 ١٠- حاجتنا لله كمعين في الترك:

📖 في ترك الأشياء المنظورة التي في هذا العالم، لا نترك ما هو ليس لنا، بالرغم من أننا استحوذنا عليه بمجهودنا، أو ورثناه عن أجدادنا.

📖 وكما أقول إنه ليس هناك شيء ملك لنا، فيما عدا ما يملكه قلبنا، وما تلتصق به روحنا، الأمر الذي لا يقدر أحد أن ينزعه عنا.

📖 لقد نطق السيد المسيح بعبارات اللم بالنسبة للأغنياء، الذين يتمسكون بالغنى المنظور، لأنه ملك لهم، رافضين أن يساهموا

بنصيب منه للمحتاجين، فيقول: "وإن لم تكونوا أمناء فيما هو للغير، فمن يعطيكم ما هو لكم؟!" {لو١٦: ١٢}.

📖 واضح إذن أنه ليس فقط خبرتنا اليومية، تعلمنا بأن هذا الغنى ليس ملكاً لنا، بل هذا ما ينطق به إلهنا أيضاً.

📖 ويقول بطرس للرب عن هذا الغنى المنظور: "ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا؟" {مت١٩: ٢٧}، مع أنهم لم يتركوا شيئا سوى الشباك البالية.

📖 لذلك فإن عبارة: تركنا كل شيء، يفهم منها ترك الخطايا التي هي بالحقيقة أهم وأخطر، فإن ترك التلاميذ لممتلكاتهم الأرضية المنظورة تركا تاما، ليس سببا كافيا لينعموا بالمحبة الرسولية، ويتسلقوا بشوق واجتهاد المرحلة الثالثة من الترك، التي هي شاهقة وتخص قليلين.

📖 كم بالأحرى يلزم أن يفكر في أنفسهم أولئك الذين لم يستطيعوا أن يسيروا في الخطوة الأولى السهلة بطريقة كاملة، محتفظين بضعف إيمانهم، بجانب غناهم السابق الدنيء، ظانين في أنفسهم أنهم يفتخرون لمجرد تسميتهم رهبانا؟!

📖 فالنوع الأول من الترك، هو ترك ما هو ليس لنا {أيضاً الممتلكات الأرضية}، وهذا لا يكفي لمنحنا الكمال، ما لم نسمو إلى النوع الثاني، الذي فيه ترك الأمور التي تخصنا {أيضاً العادات والرذائل الملتصقة بالنفس}. وإذ ننبذ كل أخطائنا، نصعد إلى مرتفعات النوع الثالث أيضاً، حيث نسمو لا على مجرد الأشياء التي في هذا العالم، أو التي تخص البشر، بل نسمو على العالم كله، الذي هو حولنا، والذي يبدو مجيدا، ناظرين إليه بقلبنا وروحنا أنه باطل، وسريع الزوال، فنتطلع إليه كقول الرسول: "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى، بل

إلى التي لا ترى. لأن التي ترى وقتية، وأما التي لا ترى فأبدية" {٢كو٤:١٨}.

📖 يلزمنا أن ننصت إلى النصيحة العظمى التي قدمت لإبراهيم: "اذهب إلى الأرض التي أريك" {تك١٢:١}. وهذه تعلن بأنه ما لم ينفذ الإنسان الأنواع الثلاثة من الزهد بكل شوق، لا يقدر أن يصل إلى هذه المرحلة الرابعة، التي توهب كإكليل وحق، من أجل ما نزهده بالكامل. فيصير الإنسان مستحقا أن يدخل أرض الموعد {السماويات}، التي من أجلها يحتمل شوك الخطية وحسكها.

📖 فعندما تزول الآلام {الخطية}، بواسطة نقاوة القلب، حتى وهو في الجسد، حينئذ يربح أرض الموعد، لا من أجل أعماله الفاضلة ومجهوداته البشرية، بل كوعد الله نفسه أن يرينا إياها قائلا لنا: "اذهب إلى الأرض التي أريك".

📖 مظهرا بهذا أن بداية ثمار الخلاص، تأتي من وعد الله القائل: "اذهب من أرضك" وهي أيضاً هي عطية منه، حيث يتم الكمال، والنقاوة، ويتحقق القول: "اذهب إلى الأرض التي أريك" {تك١٢:١}.

📖 فهي أرض لا تقدر أن تعرفها، أو تكتشفها بمجهودك الذاتي، بل الأرض التي "أريك إياها" أي التي تجهلها، ولم ترها. بهذا يتضح أننا نسرع في طريق الخلاص، خلال تفاعلنا بوحي الله، حتى أنه بواسطة إرشاد توجيهاته وعمله فينا، ننال كمال البركة العظمى.

📖 ١١- سؤال: عن حرية الإرادة:

📖 **جرمانيوس**: إذن أين هي حرية الإرادة؟

📖 وكيف يمكن أن نكون مستحقين للكرازة كثمرة للجهاد، مادام الله هو الذي يبتدئ، وهو الذي يختم كل شيء فينا، بخصوص خلاصنا؟

📖 ١٢- بفنوتيوس:

📖 نحن نعرف أن اللـه يخلق لنا فرصا للخلاص بشتى الطرق.

📖 لكن يمكننا أن نستخدم هذه الفرص باجتهاد أعظم، أو أقل.

📖 فاللـه يقدم فرصة كقولـه: "اذهب من أرضك"، لكن الطاعة من اختصاص إبراهيم، الذي أطاع وذهب منها. ففي القول:"اذهب إلى الأرض" تحمل معنى العمل، عمل ذاك الذي أطاع.

📖 وفي القول: "التي أريك" تحمل نعمة اللـه الذي أوصاه، أو وعده.

📖 من المفيد لنا أن نتأكد أنه بالرغم من أننا نجاهد في كل الفضائل جهادا غير باطل، لكننا لا نستطيع بلوغ الكمال بجهدنا وغيرتنا.

📖 فلا يكفي نشاط الإنسان، وجهاده المجرد، للبلوغ إلى عطية النعمة الغنية، ما لم يصن جهاده بالتعاون مع اللـه، وتوجيهات اللـه لقلبه نحو الحق. لهذا ينبغي علينا أن نصلي في كل حين قائلين مع داود: "تمسكت خطواتي بآثارك، فما زلت قدماي" {مز١٧:٥}.

📖 "وأقام على صخرة رجلي، ثبت خطواتي" {مز٤٠:٢}.

📖 اللـه هو المدبر لقلوبنا غير المنظورة، والذي يقدر أن يوجه رغباتنا نحو الفضيلة، لأن لديها الاستعداد للانحراف نحو الرذيلة، أما بسبب نقص معرفتها للخير، أو للذتها بالألم {الشهوة}.

📖 ويظهر ذلك بوضوح في قول النبي: "دحرتني دحورا لأسقط"، معلنا ضعف إرادتنا الحرة. ثم يقول: "وأما الرب فعضدني" {مز١١٨:١٣}، معلنا عون اللـه لإرادتنا.

📖 هكذا نحن لا نهلك إذا لضعف حرية إرادتنا، لأن اللـه يعضدنا، ويعيننا باسطا يديه لنا. فبالقول: "إذا قلت قد زلت قدمي" يقصد زلت إرادتي، وبالقول: "فرحمتك يارب تعضدني" {مز٩٤:١٨}، يظهر عون اللـه لضعفنا، معترفا أنه ليس بمجهودنا الذاتي، بل برحمة اللـه لا تزل أقدام إيماننا.

📖 كذلك "عند كثرة همومي في داخلي" تلك الهموم التي تنبع بالتأكيد من إرادتي الحرة، "تعزياتك تلذذ نفسي" {مز٩٤:١٩}.

📖 بدخول التعزيات في قلبي عن طريق الوحي، معلنة صورة البركات العتيدة التي أعدها الله للذين يعملون في اسمه، هذه التعزيات ليس فقط تنزع الهموم من القلب، بل وتنعم عليه بالابتهاج العظيم. وأيضا "لولا أن الرب معيني لسكنت نفسي سريعا أرض السكوت" {مز٩٤:١٧}.

📖 هنا يعلن أنه بسبب ضعف إرادتنا الحرة نسكن في الجحيم {أرض السكوت} لو لم ينقذنا عون الله وحمايته. هذا أيضاً يقال بخصوص النقاوة الكاملة، فإنه لا يقدر أحد بذاته أن يطلب البر، ما لم تمد الرحمة الإلهية يدها، وتعينه عند تعثره وسقوطه في كل لحظة، وإلا سقط وهلك، وذلك عندما يزل بسبب ضعف إرادته الحرة.

١٣- الله هو المعين في حياة الفضيلة:

📖 بالحق إن القديسين لا يقولون قط بأنهم قد بلغوا ذلك الطريق، الذي يسلكونه بتقدم وكمال في الفضيلة، بجهادهم الذاتي، إنما بفضل الله قائلين: "دربني في حقك" {مز٢٥:٥}.

١٤- الله هو المعين في معرفة الناموس:

📖 حتى في السعي للوصول إلى معرفة الناموس ذاته، لا يتأتى من مجرد النشاط في القراءة، بل بإرشاد الله لنا، واستنارتنا به.

📖 إذ يقول المرتل: "طرقك يارب عرفني. سبلك علمني" {مز٢٥:٤}.

📖 و"اكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك" {مز١١٩:١٨}.

📖 و "علمني أن أعمل رضاك، لأنك أنت إلهي" {مز١٤٣:١٠}.

📖 وأيضا "المعلم الإنسان معرفة" {مز٩٤:١٠}.

📖 **١٥- اللـه هو المعين في فهم الناموس:**

📖 وأكثر من هذا يسأل داود اللـه طالبا الفهم، حتى يدرك وصايا اللـه، بالرغم من معرفته معرفة تامة أنها مكتوبة في كتاب الشريعة، فيقول: "عبدك أنا. فهمني فأعرف شهاداتك" {مز١١٩:١٢٥}.

📖 بالتأكيد كان لدى داود الفهم الموهوب له بالطبيعة، كما كان لديه إلمام تام بمعرفة وصايا اللـه المحفوظة في كتاب الشريعة، ومع هذا نجده يظل مصليا إلى اللـه لكي يعلمه الشريعة بإتقان!

📖 فما حصل عليه من فهم حسب الطبيعة لا يكفيه، ما لم ينر اللـه على فهمه يومياً، لكي يفهم الشريعة روحياً، ويعرف وصاياه بوضوح.

📖 كذلك أعلن الإناء المختار هذا الأمر "لأن اللـه هو العامل فيكم أن تريدوا، وأن تعملوا من أجل المسرة" {في٢:١٣}. أي وضوح أكثر من هذا، أن مسرتنا، وكمال عملنا يتم فينا بالكمال عن طريق اللـه؟!

📖 وأيضا "لأنه وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله"، وهنا يعلن بأن توبتنا، وإيماننا، واحتمالنا للآلام، هذا كله عطية من اللـه.

📖 يعلم داود أيضاً بذلك، فيصلي مثله لكي يوهب له هذا من قبل رحمة اللـه، قائلا: "أيد يا اللـه هذا الذي فعلته لنا" {مز٦٨:٢٨}، مظهرا أنه لا يكفي فقط أن يوهب لنا بداية الخلاص كهبة ونعمة من قبل اللـه، بل ويلزم أن يكمل ويتمم بنفس تحننه وعونه المستمر.

📖 لأن ليس بإرادتنا الحرة، إنما "الرب يطلق الأسرى"

📖 ليس بقوتنا، لكن "الرب يقوِّم المنحنين"

📖 ليس بالنشاط في القراءة، بل "الرب يفتح أعين العميان"

📖 ليس نحن الذين نعتني، بل "الرب يحفظ الغرباء" ليس نحن الذين نعضد، إنما اللـه "يعضد اليتيم والأرملة" مز١٤٦:٧-٩

📖 ما أقوله هذا لا يعني أننا نستهين بغيرتنا، وجهودنا، ونشاطنا، كأنها غير ضرورية، أو نستخدم الحماقة.
📖 بل ينبغي علينا أن نعرف أننا لا نستطيع أن نجاهد بدون معونة الله، ولا يصير لجهادنا أي نفع، للحصول على عطية النقاوة العظمى، ما لم توهب لنا بواسطة المعونة، والرحمة الإلهية، لأن "الفرس معد ليوم الحرب. أما النصرة فمن الرب" {أم٢١: ٣١}،
📖 "لأنه ليس بالقوة يغلب إنسان" {١صم٢: ٩}.

📖 يلزمنا أن نسبح مع الطوباوي داود قائلين: "قوتي وترنمي" ليس بإرادتي الحرة ذاتها. ولكن "الرب وقد صار لي خلاصا".
📖 لم يكن معلم الأمم جاهلا بهذا، عندما أعلن أنه قد صار كفء ليكون خادما للعهد الجديد، ليس بحسب استحقاقه وجهاده، بل برحمة الله، "ليس أننا كفاه من أنفسنا أن نفتكر شيئا كأنه من أنفسنا، بل كفايتنا من الله، الذي جعلنا كفاه لأن نكون خدام عهد جديد" {٢كو٣: ٥، ٦}.

📖 ١٦- الله هو المعين في نوال الإيمان:

📖 قد تحقق الرسل تماما أن كل ما يخص الخلاص يعطى من الله، حتى أنهم سألوا الإيمان نفسه كهبة من الله قائلين: ”زد إيماننا“ {لو١٧: ٥}، إذ لم يستطيعوا أن يتصوروا أنه يمكن الحصول عليه بإرادتهم الحرة ذاتها، بل آمنوا أنها منحة من الله.
📖 وأخيرا فإن واهب الخلاص يعلمنا عن ضعف كفاية إيماننا وعدمها، ما لم تدعم بالعناية الإلهية، وذلك عندما قال لبطرس: "سمعان، سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة. ولكني طلبت من أجلك لكيلا يفنى إيمانك" {لو٢٢: ٣١، ٣٢}.

🕮 وآخر أيضاً وجد أن إيمانه قد انتزع بموجات الشك، وسحب على الصخور فهلك هلاكا مريعا، لذلك صرخ إلى الرب ذاته طالبا عونا لإيمانه قائلا: "أؤمن يا سيد، فأعن عدم إيماني" {مر٩:٢٤}.

🕮 إن كنا قد وجدنا بطرس محتاجا إلى عناية الله لحفظه من السقوط، لذلك فمن يظن أنه غير محتاج إلى معونة الله الدائمة، لحفظ إيمانه يكون متجاسرا وأعمى.

🕮 خاصة وأن الرب نفسه أوضح في الإنجيل قائلا: "كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته، إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ" {يو١٥:٤}.

🕮 وأيضا "لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا" {يو١٥:٥}.

🕮 فكم غباوة وشر، أن ننسب الأعمال الصالحة إلى جهادنا الذاتي، وليس إلى نعمة الله وعنايته وهذا ما وضح بجلاء في قول الرب، حيث أعلن بأنه لا يقدر أحد أن يظهر ثمار الروح بدون وحيه وعونه. لأن "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة، من عند أبي الأنوار" {يع١:١٧}.

🕮 ويوافق الرسول الطوباوي قائلا: "وأي شيء لك لم تأخذه؟! وإن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ" {١كو٤:٧}.

🕮 ١٧- الله هو المعين في احتمال التجارب:

🕮 ما نحتمله من تجارب تحل بنا، لا يعتمد على قوتنا، قدر ما هو على مراحم الله وإرشاده.

🕮 إذ يعلن الرسول الطوباوي قائلا: "لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله آمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" {١كو١٠:١٣}.

🕮 يعد الله أرواحنا ويقويها لكل عمل صالح، ويعمل فينا كل ما يسره.

📖 ويعلمنا بذلك الرسول قائلا: "وإله السلام الذي أقام من الأموات، راعي الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدي ليكملكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملا فيكم ما يرضي أمامه" {عب١٣: ٢٠، ٢١}.

📖 وقد توسل من أجل أهل تسالونيكي ليتم معهم نفس الأمر قائلا: "وربنا نفسه يسوع المسيح، والله أبونا الذي أحبنا، وأعطانا عزاء أبديا، ورجاء صالحا، بالنعمة يعزي قلوبكم، ويثبتكم في كل كلام، وعمل صالح" {٢تس٢: ١٦، ١٧}.

📖 ١٨- الله هو المعين في نوال المخافة الإلهية:

📖 وأخيرا فإن إرميا النبي يتحدث على لسان الله، مقررا بوضوح أن مخافة الله التي بها نثبت فيه تنسكب علينا منه، فيقول: "وأعطيهم قلبا واحدا، وطريقا واحدا، ليخافوني كل الأيام لخيرهم، وخير أولادهم من بعدهم. وأقطع لهم عهدا أبديا، أني لا أرجع عنهم لأحسن إليهم، وأجعل مخافتي في قلوبهم، فلا يحيدون عني" {إر٣٢: ٣٩، ٤٠}.

📖 ويقول حزقيال أيضاً: "وأعطيهم قلبا واحدا، وأجعل في داخلكم روحا جديدا، وأنزع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيهم قلب لحم، لكي يسلكوا في فرائضي، ويحفظوا أحكامي، ويعملوا بها، ويكونوا لي شعبا، فأنا أكون لهم إلها" {حز١١: ١٩، ٢٠}.

📖 ١٩- الله هو المعين في الإرادة الصالحة:

📖 تنفيذ الأعمال الصالحة هو هبة من الله في نفس الطريق.

📖 ومع ذلك فنحن نستحق الجعالة، أو العقاب، لأنه يمكننا أن نجتهد، أو نهمل في تفاعلنا مع عمل الله، وترتيب العناية الإلهية الموضوعة من أجلنا باهتمام عظيم.

📖 وقد وصف هذا بوضوح في سفر التثنية {بصورة رمزية} قائلا: "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك. ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهدا، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم" {تث٧: ١-٣}.

📖 لقد أعلن الكتاب بأن العطية الإلهية الخاصة بالحرية، ليست إجبارية، وهي أن يأتي بهم إلى أرض الميعاد، لكن في مقدورهم أن يخالفوا ذلك.

📖 من هذا نستطيع أن نرى بوضوح ما ننسبه لإرادتنا الحرة. وما ننسبه لمواعيد وعلامات العناية الإلهية الدائمة. ففرص الخلاص، والتدابير الناجحة، والنصرة، تخص النعمة الإلهية. ونحن علينا، أما أن نطيع بشغف، أو نهمل البركات الممنوحة لنا من قبل الله.

📖 ٢٠- الله هو الذي يريد أو يسمح بالأمور أن تحدث:

📖 يليق بنا أن نقول بإيمان مستقيم، أنه لا يحدث شيء في هذا العالم بدون سماح الله.

📖 وعلينا أن نعرف أن كل شيء يحدث أما بإرادته، أو بسماح منه.

📖 فكل ما هو خير، يحدث بإرادة الله، وعنايته.

📖 وكل ما هو ضد ذلك، يحدث بسماح منه، متى نزعت حماية الله عنا بسبب خطايانا، أو قساوة قلوبنا، أو سماحنا للشيطان، أو الأهواء الجسدية المخجلة، أن تتسلط علينا. يعلمنا الرسول بذلك مؤكدا: "لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان" {رو١: ٢٦}.

📖 وأيضا: "كما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض، ليفعلوا ما لا يليق" {رو١: ٢٨}.

📖 ويقول اللـه بالنبي: "فلم يسمع شعبي لصوتي، وإسرائيل لم يرض بـي. فسلمتهم إلـى قساوة قلـوبهم. ليسـلكوا فـي مـؤامرات أنفسـهم" {مز ٨١: ١١، ١٢}.

الجمعة ٢٢ أبيب ١٦٧٦ش
٢٩ يوليو ١٩٦٠م

ملخص المبادئ

📖 تأتي الدعوة لتكريس القلب للـه بطرق ثلاث:

📖 من اللـه مباشرة، كأن يكون ذلك بالتفاعل مع وصية من وصـايا الكتاب المقدس، فيتوب الإنسان، ويسلم قلبه للـرب، وقد يشتاق إلـى حياة التكريس الكامل للعبادة، فيترك العالم ليحيا راهبا. عن طريق الاقتداء بالغير، وهنا يرجع الفضل أيضاً إلى عمل النعمة الإلهية فينا.

📖 عن طريق الأحزان والتجارب، إذ ينزعنا اللـه من حياة الترف، لكي ما نعرف حقيقة الحياة الزائلة، وطلب الحياة الباقية – وهنا أيضاً بدون نعمة اللـه يسقط الإنسان في الكفر واليأس، بدلا من أن تدفعه التجربة للحياة مع اللـه.

📖 الطريق الثالث يبدو أنه أدنى الطرق، لكن كثيرين بدئوا به، وارتفعوا إلـى قمم كمال الحب والعشق الإلهي، خلال الجهاد والمثابرة، بفضل النعمة الإلهية، وعلى العكس كثيرون بدئوا الحياة مع اللـه بالحب، لكنهم خلال التراخي والكسل، انحرفت حياتهم.

📖 **يأخذ الزهد مراحل ثلاث، أو درجات ثلاث:**

📖 الترك المادي، كأن يترك الإنسان بعض، أو كل ممتلكاته الأرضية، وهنا يترك الإنسان ما ليس له.

📖 ترك السلوك القديم، أي مما في داخله.

📖 ترك الأرضيات وارتفاع القلب في السماويات.

📖 التوقف عند أي درجة معناه جمود حياة الإنسان.

📖 لذا لا يكفي أن نترك الماديات، حتى وإن وزعنا كل شيء، وخرجنا إلى الدير، إنما لنجاهد في ترك عاداتنا بنعمة الرب، وهذا أيضاً لا يكفي، إنما لتتحرر أذهاننا، وترتفع لتعيش متأملة في السماويات.

📖 يحتاج هذا الترك في أي صورة من صوره، إلى جهاد الإنسان المستند على قوة عمل النعمة، والعناية الإلهية.

📖 فالله هو الذي يعين الإنسان في التعرف على الفضيلة تعرفا عمليا اختباريا. وهو الذي يكشف الناموس، وينير فهمنا لندركه إدراكا سريا روحيا تتذوقه النفس، وتختبر قوته.

📖 وهو المعين في التجارب.

📖 وهو الذي يسمر خوفه فينا، فلا نحيد عنه.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ حياته ـ كتاباته ـ أفكاره ـ صفحة ١١٢ ـ ١٢٣

📖 **سئل شيخ:** عن "الغربة".

📖 فقال: "هي الصمت، وترك الالتفات إلى الأمور الدينوية".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٧٦

{١١}

كتاب طريق النساك

الفصل الثاني والعشرون
في استعمال الأشياء الحسية

📖 نحن مكوّنون من نفس وجسد، فلا يمكن الفصل بين الاثنين في سلوكنا. لذلك يناسبك أن تستخدم الأمور الحسية لمساعدتك.

📖 و {السيد} المسيح لأنه عرف ضعفنا، فإنه استخدم الكلمات، والحركات، والتفل، والأرض ـ كوسائل ـ وذلك من أجلنا.

📖 فمن أجلنا جعل قوته الإلهية تخرج من هدب ثوبه {مت٩: ٢٠، ١٤: ٣٦}. ومن أجلنا جعل قوة الشفاء تخرج "من مناديل ومآزر من جسد الرسول بولس" {أع١٩: ١٢}.

📖 بل ومن ظل الرسول بطرس {أع٥: ١٥}.

📖 لذلك، استعمل كل ما هو من الأرض، كعكاز تتوكأ عليه ذاكرتك في تجوالك الشاق على الطريق الضيق.

📖 وليت كل مظاهر الخليقة: بياض الثلج، وزرقة السماء، وعين الذبابة المرصعة بالجواهر، ولسع النار، وغير هذه من الخلائق التي تقع عليها حواسك، ليت كل هذه تذكرك بخالقك.

📖 ولكن بنوع خاص استعمل ما تقدمه لك الكنيسة لمساعدتك على تقديم "أعضاءك عبيدًا للبر للقداسة " {رو٦: ١٩}.

📖 إن أول واهم ما تقدمه لك الكنيسة هو جسد الرب ودمه. وبالمثل أيضاً بقية الأسرار المقدسة، وكل خدمات العبادة، والكتاب المقدس بكل أسفاره.

📖 وتقدم لك الكنيسة أيضاً الأيقونات المقدسة، التي تصور لك والدة الإله، والملائكة، والقديسين، والصلاة أمامهم، وأيضًا الشموع والبخور، والمياه المقدسة، ووميض الذهب، والألحان المقدسة.

📖 تقبل كل هذه الأشياء بالشكر، واستعملها كلها لأجل بنيانك وتشجيعك، لأجل تقدمك وفائدتك، بينما أنت سائر في طريقك.

📖 واعطِ فرصًا كثيرة للتعبير عن حبك لرب المحبة الكريم.

📖 قبّل الصليب والأيقونات، وزينها بالزهور، فإن كان الشر يُسحق بالصمت، عندئذٍ ستتاح الفرصة للمشيئة الصالحة لتعبّر عن نفسها بكل حرية. فإن كان ما يُعطى بمحبة، يُستلم بمحبة، فإن مجال المحبة سيزداد ويتسع.

📖 وهذا هو الهدف لكل ما تعمله، فبقدر ما يكون النهر كبيرًا، كلما اتسعت دلتاه أكثر. واستعمل جسدك أيضاً، كمعين لك في الجهاد، شذبه واجعله متحررًا من الأهواء الأرضية. اجعل جسدك يشارك في مشقتك وتعبك: فإن كنت تشتهى تعلم الاتضاع مثلاً، فدع جسدك أيضاً يكون متضعًا ومنحنيًا إلى الأرض، انسكب بوجهك، وانحنى بركبك على الأرض كلما استطعت أن تفعل ذلك على انفراد، ولكن انهض في الحال، فبعد أي سقوط، هناك القيام والاستعادة في المسيح.

📖 ارشم علامة الصليب بمواظبة: فهي صلاة بدون كلمات، فهي تعبّر عن إرادتك في ان تشارك حياة المسيح، وفى أن تصلب جسدك برضا وبدون تذمر، وفى أن تنال ما يرسله لك الثالوث القدوس، كل هذا يتم في لحظة قصيرة، وبدون الكلمات البطيئة.

📖 وفوق ذلك فإن علامة الصليب هي سلاح ضد الأرواح الشريرة: فاستعمل هذا السلاح مرات كثيرة، وبتأمل وتفكير. ولا يمكن أن يُبنى البيت أبدًا، إلاّ بعد أن تنصب السقالات. فالإنسان القوى فقط هو الذي لا يحتاج إلى معونة. ولكن هل أنت قوى؟ ألست أنت أضعف الضعفاء؟ ألست أنت طفلاً؟

كتاب طريق النساك ـ صفحة ٨٤ ـ ٨٦

الفصل الرابع والعشرون

تأمل عن زكا

📖 إنك الآن مثل زكا قد تسلقت الشجرة لكي ترى الرب {لو١٩}.

📖 إنك قد فعلت هذا ليس فقط بقوتك الذهنية، أو بطريقة تصوفيه عقلية. فأنت كائن بشرى ولك جسد: ولذلك فإنك ـ مثل زكا ـ قد استعملت قوة أطرافك، كما استخدمت الأشياء الأرضية، لكي ترتفع من على الأرض.

📖 وإن كنت قد فعلت هذا بفهم وتقديرات هادئة، وبإدراك لوزن جسمك وإمكانياتك المحدودة، ولكن بدون خوف، أو ارتباك، أو نظرات جانبية. فإنك أيضاً كنت محظوظًا جدًا بأن ترفع نفسك إلى العلو، الذي تستطيع فيه أن تختلس نظرة لذاك الذي كنت تبحث عنه ـ وذلك بالارتفاع فوق هدير جماهير عامة البشر، وأعني بها نزواتك الأرضية.

📖 وأنت تلاحظ أنك حينما ابتدأت أن تحصل على إدراك أوضح لحقيقة الظلام الذي فيك، فأنت لا تعود كما كنت مشدودًا بقوة، للرغبة في التسليات، ومتع الحياة الاجتماعية كما كانت قبلاً.

📖 وأنك قد حصلت على لمحة صغيرة عن حالتك الداخلية، كما هي في حقيقتها. فربما أنت تفكر، أن قلبك كان لا يزال إلى الآن يشبه جوزة مركب يهتز، ويتذبذب بدون هدف، وبدون قائد لدفتها.

📖 أما الآن فالمرحلة قد صار لها هدف ومعنى، وهذا يحقق السعادة.

📖 وبالرغم من ذلك فأنت هو نفس جوزة المركب الصغيرة في وسط البحر الواسع، فإن كنت تبحر بطريقة صائبة، فأنت سترى الآن بوضوح للمرة الأولى مقدار ضعف وضآلة المركب.

📖 إن كنا فقط نُظهر نيتنا الصالحة، فإن الرب نفسه يكون دائمًا مرشدنا، هذا ما يقوله رئيس الأساقفة ثيئوفيلاكتوس البلغاري.

📖 يسوع يخبر زكا قائلاً: "أسرع وانزل {اتضع}، فإنه ينبغي أن أكون اليوم في بيتك" {لو١٩:٥}. وبيتك هنا يمكن أن تُفهم بمعنى قلبك.

📖 حقيقة أنك قد تسلقت الشجرة، وانتصرت على جزء من رغباتك الأرضية، لأنك أردت أن تراني، أي: إنك أردت أن تكون لك القدرة أن تراني حينما أعبر ذلك الطريق الذي في داخل قلبك.

📖 ولكن أسرع الآن بأن تذلل نفسك، لئلا تجلس هناك ظانًا أنك أفضل من غيرك، فإن المكان الذي ينبغي أن أمكث فيه هو قلب المتضع. "فأسرع ونزل وقبله فرحًا" {لو ١٩:٦}.

📖 زكا - رئيس العشارين - قد قبل المسيح الآن، وأول شيء فعله هو أنه أعطى كل ما كان يملك، لأنه أعطى نصف أمواله في الحال للمساكين، والنصف الآخر لابد أنه بالتأكيد قد صُرف في رد أربعة أضعاف لكل من كان قد وشى بهم، "فهو أيضاً ابن إبراهيم" {لو١٩:٩}. فإنه قد سمع صوت الرب، وترك أرضه، وبيته، وبيت أبيه {تك١٢:١}، حيث تملك الأنانية والشهوات.

📖 عرف زكا أن القلب الذي يقبل المسيح، يجب أن يفرغ نفسه من كل شيء أخر: ينبغي أن يقدم كل ما حصل عليه من غنى بطرق غير شرعية، أي "شهوة الجسد، وشهوة العيون وتعظم المعيشة" {١يو ٢:١٦}. لقد فهم أن الغنى هنا هو فقير هناك، فأن تكون غنيًا ماديًا يساوى تمامًا أن تكون فقيرًا روحيًا، وكما يشرح يوحنا ذهبي الفم: "فإن لم يكن الإنسان الغنى فقيرًا جدًا، فإنه لن يصير غنيًا بالمرة".

📖 وكما هو مستحيل أن تجمع بين الصحة والمرض، هكذا فهو مستحيل أن تصالح بين المحبة والثراء: هكذا يقول مار إسحق السرياني، فالذي يحب إخوته البشر يعطى لهم كل ما يملك بدون شروط: فهذه هي طبيعة المحبة - ولكن بدون المحبة فليس هناك إمكانية لدخول ملكوت الله. وهذا ما اكتشفه زكا أيضاً.

📖 وأيضًا كلما امتلكت أقل، كانت طريقة حياتك أكثر بساطة، فكل زيادة وإكثار قد ألقى بعيدًا، والقلب يجمع نفسه، ويحصر أفكاره معًا في عمقه الداخلي. وشيئًا فشيئًا يحاول القلب أن يدخل إلى داخل الجوهر، حيث توجد هناك درجات السلم المؤدى إلى السماء.

📖 حينئذٍ، فالصلاة أيضاً تصير أكثر بساطة وسهولة. والصلوات تتجمع حول المركز وتدخل فيه.

📖 وهناك في الأعماق نرى الصلاة الوحيدة التي نحن في احتياج إليها: أي الصلاة لأجل الرحمة. لأن ما الذي يمكن أن يشتهيه الخاطئ، بل وأول الخطاة {١تى١:١٥}، غير أن ينال الرحمة من الرب؟ فهل عند الخاطئ أي شيء يمكن أن يعطيه؟

📖 وهل عنده قوة من ذاته، وإرادة من ذاته، أو أي رباطة جأش من ذاته؟ هل يستطيع أن يقوم بأي شيء بنفسه؟

📖 هل هو يعرف أي شيء؟

📖 هل هو يستطيع أن يقول عن أي شيء يفهمه، أو يدركه، إنه ملكه، وهو الذي لا يملك شيئًا.

📖 هو لا يملك شيئًا: فالخطيئة هي العدم، أي ما ليس له وجود.

📖 الخطيئة هي فراغ، هي ظلام، هي رفض.

📖 وهناك يستقر الخاطئ، في ذلك العدم.

📖 وهكذا يرى نفسه، وكلما امتلك أقل، كلما صار أكثر غنى: لأن الحجرة المفرغة في داخله تُملأ لا بأشياء فانية، بل بملء الحياة الأبدية، وبنورها وبإيجابيتها ـ أي بالحب والرحمة.

📖 إن الرب نفسه هو الذي يسكن كضيف في بيت الخاطئ.

📖 ولكن كيف يستطيع هذا الخاطئ، أن يكون أهلاً لحضور الرب؟

📖 كيف يمكنه حتى أن يتخيل أن الرب سينظر إليه في ظلامه؟

📖 ومع ذلك فهو يحاول أن يطهر نفسه، وهو يصارع ويعمل، بل هو يتبع وصايا الإنجيل ويسهر ويصوم، ويحاول بكل الطرق أن ينكر ذاته لأجل خاطر الرب.

📖 بل هو يرى نفسه ساقطًا في سرعة الغضب، والميل للشجار، وعدم المحبة، والكسل وعدم الصبر، وعدم الشكر وكل ما يمكن تصوره من رذائل. فكيف يمكن أن يتوقع أن يأتي الرب إلى مثل هذه الغرفة؟

📖 لذلك فهو يصلى هكذا: يارب ارحم. إرحمني أنا الخاطئ. لأني قد حاولت ـ بالحق ـ أن أفعل "ما كان يجب على أن أفعله" لكي أخدمك: لقد "حرثت" حقل قلبي الذي أعطيتني أن أفلحه، وقد "رعيت البقر" هناك {لو١٧:٧ـ١٠}، ولكنى لست فقط إلاّ عبدك المتواضع، وبدونك لا أستطيع أن أفعل شيئًا.

📖 وعن طريق العمل يزداد إيمانه {لو١٧:٥}، وبواسطة الصلاة يأخذ قوة للعمل، وهكذا فإن الصلاة والعمل يكونان متلازمين معًا، إلى أن يتدفقا معًا ويصيران واحدًا. فيصبح عمله هو صلاته، وصلاته هي عمله. هذا هو ما يسميه القديسون بالنشاط الروحاني ـ صلاة القلب، أي: صلاة يسوع.

كتاب طريق النساك ـ صفحة ٨٩ ـ ٩٢

{١٢}

قديسون أخرون

📖 **٩١ـ** إذا كنت ترغب بالحقيقة أن تعتزل العالم، فيجب أن تقلد النبي إليشع، الذي في حبه الشديد والملتهب لله، لم يحتفظ بشيئاً لنفسه. {ق.م. امل ١٩ :٢١}. يجب أن توزع كل ممتلكاتك للمحتاجين، وبذلك تحمل صليب المسيح، متعجلاً بحماس ورضى لكي تموت عن هذا العالم، وسوف تأخذ في المقابل ملكوت أبدى.

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٣١١

📖 **٢٢ -** من يهجر كل الرغبات الدنيوية، يُنصب نفسه فوق كل الأحزان الدنيوية.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ صفحة ٥٢

📖 **١٧-** الإنسان المشغول بممارسة الفضائل يقال عنه «متغرب» في الجسد {ق.م. تك ١٢: ١٠}، لأنه بممارسته الفضائل فإنه يقطع علاقة النفس بالجسد، وينزع من نفسه خداع الأشياء المادية.

📖 إنسان المعرفة الروحية يقال {عنه} إنه متغرب في الفضيلة نفسها، لأنه لازال يتأمل الحق بطريقة غير واضحة، كما في مرآة {ق.م. ١كو ١٢:١٣}: لم يتمتع بعد برؤية الوجه ... لأنه فيما يتعلق ببركات الدهر الآتي، فإن كل قديس لا يفعل أكثر من أن يمشى ... صارخاً، "أنا غريب عنك، ونزيل مثل آبائي" {مز ٣٩:١٢}

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس ـ المئوية الثانية ـ صفحة ١٣٧

{١٣}

مار إفرام السرياني

📖 **{١٠٠}** أحذر ألا يجئ العدو فيزرع في ذهنك اشتهاء الأمور السالفة، ولا تحدث ألبته مثل هذه الأفكار، ولا تحتمل مناجاتَها، لأن ذكر الأمور القديمة تنتج استعلاء الذهن، للذين يتذكرونَها تذكراً بَهيمياً. وإذ لا يمنحهم فسحة إن يعملوا أعمال استعلاء الرأي من أجل العمر الحاضر، يدفعونه إلى العزم الرديء.

📖 أو تعرف ما هي العادة الرديئة، داء خبيث الذي يبطله الرب، الذي له المجد إلى أبد الدهور كلها آمين.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ٢٦٦ ـ ٢٦٧

المقالة الأربعون

في عدم الانتقال من موضع إلى موضع

📖 الأمانة {الإيمان} هي أم كل عمل صالح، وبها يقتني الإنسان مواعيد ربنا وإلهنا يسوع المسيح، كما كتب "إن خلواً من الأمانة غير ممكن إن نرضي اللـه".

📖 وعدم الأمانة هي قنية مثمرة للمحال، التي هي أم كل عمل خبيث، لأنه منها يتولد انقسام النفس، الذي هو عدم الترتيب، لأن الرجل المنقسم النفس لا ثبات له في جميع طرقة.

📖 إن خرجنا إلى القفر، فلا تستقر أرجلنا.

📖 وإن دخلنا إلى الأصقاع المسكونة، نطوب المتصرفين في القفر.

📖 يا أخوتي إن لم نزرع فكيف نحصد.

📖 إن لم نقدم الأثمار لمانح الثمر، فكيف نستطيع ان نثمر.

📖 إذ لم نصبر على الحزن، فكيف نجد الراحة.

📖 إن لم نثبت في البرية، فكيف نأخذ ثواب تغربنا.

📖 وإذ لم نوَّد المسكنة والضيقة، فكيف نأخذ الغنى الصادق.

📖 إذ لم يحسن مختبرنا في الشتائم، والكلوم، والاحتقارات، فكيف نتبع آثار السيد. وإذا لم نحتمل أن نكون بأمر الرب في طاعة الشيوخ، ننتقل من مكان إلى مكان.

📖 فأولاً سبيل الإنسان إن يستعلم من أفكاره من أجل ماذا، ومن أجل أي سبب يريد إن يترك موضعه الذي يسكن فيه، لئلا يريد إن يهرب من التعب، فيطلب البرية الداخلية ظاناً أنه يجد موضعاً خالياً في البرية {من التعب}، أو جرح أيضاً من الشيطان الماقت الخير بحسده.

📖 إن كان تقدم نجاحه في الأمور المرئية ولم ينل مبدأها، ولهذا يؤثر إن يترك مكانه. أو هارباً من عمل الفضائل.

📖 أو لم يحتمل إن يكون في الخضوع، فيطلب التوحد.

📖 أو يلتمس ميراثاً أرضياً، يروم من أجله إن يترك مكانه، لأن الأفكار توضح هذه إن فحصناها وفتشناها، وإذا عرفنا الألم الذي يؤذينا فلا نتبعه، فلا نسقط في أيدي الشياطين الخبثاء. أفحص إذا ذاتك بدقة، إن كان الأمر الصائر هو من أجل الله محضاً، أو بقصد فاسد. لأن كل من يعمل أمراً بلا مشورة، يضاهي رجلاً يطارد برجليه طيور طائرة، صانعاً الأمور الناتجة منه بلا مشورة.

📖 أما الرأي الصالح فهو بحفظ وصايا الرب.

📖 فماذا ينبغي إن نقول عن هذه الأشياء، نحتاج يا أحبائي إلى التيقظ لأن العدو يحارب اختيار الإخوة. فإن تنازل الأخ ان يفارق الموضع، يحتال العدو إن يقتنصه بفخ في موضع أخر؟

📖 فإن طردنا الناس من أجل حسد، أو كلفونا إن نشارك أعمال غريبة وهربنا إلى موضع أخر، فلنا دالة عند الله، إذ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح يقول لتلاميذه "ان طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى" أما عن عدم التنزه فالمخلص قال أيضاً "لا تنتقلوا من بيت إلى بيت" وأيضاً "أية مدينة دخلتم أقيموا هناك".

📖 أما إن شئنا إن نعمل مشيئاتنا فأية فضيلة هذه، فإن أفرزنا المتقدمون علينا فلنمنح موضعاً مقاومين المحال أكثر، فهكذا عمل داود إذ كان يحارب القبائل الغرباء تنحى من وجه شاول.

📖 إن سكنت حسناً في البرية، وآذاك الفكر إن تنتقل إلى الأصقاع المسكونة، فأجبه واصفاً حرب العالم، والنوائب العارضة للذين يسكنون هناك. إن سكنت في الكنونيون حسناً، وحضك الفكر إن تدخل إلى البرية، فأجبه مخبراً بحربِها وتعبها.

📖 وإن سكنت وحدك منفرداً وآذاك الفكر إن تدخل إلى مجمع أخوة، فأجبه ناعتاً جهادات الذين في الأديرة.

📖 لا نتبع بلا تمييز أفكارنا، لأنا لا نعرف ما يوافقنا كما تقول الحكمة "لا ترفع ذاتك برأي نفسك، فيؤكل ورقك، ويضيع ثمرك، وتترك ذاتك كالعود اليابس، والخلاص يصير في المشاورة الكثيرة".

📖 لكن ربما تؤثر إن تقول إننا من أجل الاضطراب، ومن أجل الوقيعة نريد إن نَهرب من هناك. فأحتمل إذا فأشير عليك بكلمة، أتؤثر إن تَهرب من السجس والوقيعة، ضع باباً على فمك بالرب، وأردد عينيك ألا تبصر الأشياء الباطلة، فبهذا نغلب الأمرين كلاهما.

📖 فالوقيعة، بالسكوت. والاضطرابات، بتحفظ العينين.

📖 فإن لم نغلب هذين، نصادف أين ما مضينا في ذاتنا الذين يحاربوننا، فأغلبهم يا حبيبي فيكون لك نياح أين ما جلست.

📖 لكنك ربما تقول إنه عُرف انقلاب رأيي، ونيتي عند أخوتي كلهم، ومن أجل هذا لا يمكنني إن أجلس في هذا الموضع، لأني قد اشتهيت الفضيلة، لكن الناس الذين أسكن معهم هم بفكرهم يدينونني.

📖 فأسمع يا حبيبي، أعمل الخير فتبصر الرب يشفي ضميرك، وضمير أخوتك في أوهامهم فيك.

📖 أو كيف تحتمل إن تخلي الموضع والأخوة مرتابين بما يتوهمونه فيك، أتَهرب من تعيير الناس، وتمضي إلى مكان أخر حيث تظن إنك تجد من لا يذكر نقيصتك الأولي. النبي يقول: "انتظرت نفسي التعيير والشقاء" لأن التعيير يوافقك جداً، والاستحقار من الناس من أجل الرب ليطهر الخطايا، ويقنعك بذلك النبي قائلاً: "إنه في تواضعنا ذكرنا الرب وفدانا من أعدائنا".

📖 بل حيث طرحك المعاند قم وصارعه، لكي الذين عرفوا مناقصك تظهر تقويماتك، وبِهذا تحتضن من الرب مجداً عظيماً، إذ مخلصنا يسوع المسيح يقول: "ويكون الأولون، آخرين والآخرون أولين".

لأنه حين يغسل الثوب الوسخ، لا يترك أيضاً مع الثياب الوسخة، وإن كان أحد بحسد، أو غيرة خبيثة، يسمي النقي وسخاً، فلا يصدق لأن منظر الثوب يوبخه لأنه زعم: "تغسلني فأبيض أكثر من الثلج".

أما الذين يضادونك، ويؤثرون إن يقبلوا فكرك فالكتاب يقول: "ويل للذين يسقون قريبهم مشروباً كدراً، الذين تركوا الطريق المستقيمة ليمضوا في سبيل الظلمة، المسرورون بالأسواء، والمستبشرون بإرجاع الردئ، الذين طرقهم معوجة، ومناهجهم وعرة، ليجعلوك بعيداً من طريق الحق المستقيمة، وأجنبياً من العزم المقسط، فلذلك يقول الرب أنَهم لا يجدون سنين الحياة، لأنَهم لو كانوا سلكوا سبيلاً صالحاً لوجدوا طرق الصديقين الممهدة".

الصالحون يكونون قاطني الأرض، وأهل الدعة يبقون فيها، وطرق المنافقين تبيد من الأرض، وأعداء الناموس يقصون منها.

يا ابني لا تنسى شرائعي، وليحفظ كلماتي قلبك، فإن المجد لله إلى الدهور. آمين.

أيها الأخ إن أُمرت إن تقرأ في مسامع الإخوة، فتصور بحرز أين كمل الفصل المبتدئ بالقراءة، فإذا تناولت اللفظة فأبتدئ بالقراءة لتكون قراءتك كجديلة منسوجة بذهب.

لأن من يتهاون بكلمة واحدة، وبقلب الفصول، لا يؤثر إن يتعلم كما يجب، ولا يعلم الذين يصغون إليه، بل يطلب أخر القول، وكمال الكتاب، فأنت يا حبيبي صر متيقظاً لتنفع نفسك والسامعين.

وإن أُمرت على غفلة إن تقرأ، فأبتدئ من جانب الكتاب الأيسر، فإن كان أبتدأ القول فقل العنوان، لأنه بِهكذا يعرف المعنى.

وإن اقتنيت كتاباً، فليكن مفهوماً مكتوباً بأجمل الكتابة وأبينها، لئلا يصير عثرة لمن يقرأه وينسخه.



📖 أيها العابد أهكذا وعدت المسيح إن ترضيه، ألا تحتمل بشهامة المحن والغموم الآتية إليك من المضادين، ولا تقبل الآداب، والضغطات من المتقدمين عليك، إذ الرسول يقول "إن كنتم خالين من الأدب الذي شاركه الكل فأنتم نغول".

📖 أَضُربت! أفرح لأنك ضُربت.

📖 أَجُلدت بواجب! أفرح لأن ثوابك جزيل، لأن الرسل الذين بشروا العالم بالخلاص، كانوا في كل مدينة يُضْرَبُون كعمال الشر، فلم يسخطوا، ولم يغتاظوا، بل كانوا يسرون لأنَهم أهلوا إن يهانوا من أجل أسم المسيح.

📖 فأفرح أنت لأنك قد أهلت إن تُهان من أجل اسمه. لكن لعل أحد المتوانين يقول: إنما أحزن لأن هذا أصابني بعد هذه الأتعاب.

📖 يا عبد الرب أَهذا يحزنك، أُمن هنا تعرف ذاتك إن كنت بالحقيقة بعد هذه السنين غلبت الآلام، إن كنت قد سررت بالهوان الذي وافاك، ولم يشتغل ذهنك بالتصرف الصائر، لأنه إن ظن أحد إنه شيء وهو لا شيء فإنما يخادع ذاته.

📖 لأن نجابة المدبر إنما تظهر في أوان تقاطر الموج.

📖 فمن يتعظم ويقول إن لي مثل هذه السنين في سيرة العبادة، ولم يوضح صناعة الموعد، يأتِ بأداة وينضدها، وهو لم يتعلم الصناعة.

📖 أشخت في الإسكيم، وحصلت كمن له خبرة بالسيرة المقدم ذكرها، صر مثالاً للشباب، والذين لا خبرة لهم. وإن كنت نصبة جديدة فأخضع للشيوخ، فإن جنود الملك الأرضي يخضعون لمدبريهم وقوادهم، لا من أجل الخوف فقط، بل من أجل الضمير.

📖 فإن كان أولئك المتجندون بجندية بشرية، يوضحون كل حرص ليسترضوا الذين يطيعونَهم، فكيف تحتمل أنت الجاحد هذه الحياة، إن تجتذب مسحوباً من مثال هذه الآلام ولا تطيع، ولا تخضع، وتطرح

التأديب بالمسيح ملتمساً مدائح ومجد العُبَاد الكاملين، وتَهرب من الأتعاب التي صارت بِها الكرامات.

📖 لم تحتمل إن تضيع مثل هذا السكوت والتعب، من أجل يوم واحد، أو ساعة، إن قتلت نفسك فمن يرحمك، أهذا هو مديحك، أَهذه هي نجابتك، إن يعرض لك حزن يسير فتكفر بالإسكيم والسيرة، وتمنح العدو عليك سلاحاً بونيتك.

📖 يا أخي لا تمنح المضادين ظهراً، بل أنتصب وقاتل فيهربون عنك.

📖 لأنني أشعر إن المقتبل إن يكون متوسطاً لك {عند الله ـ المرشد}، لا يسر بالعيب الذي لك، الذي سيعطي عنك جواباً للرب، هذا هو سروره إن وقفت للرب كاملاً.

📖 أيها الحبيب عُدْ إلى ذاتك، وأرجع إلى راحتك، ألبس درع العدل، وتناول حربة الأمانة، وضع عليك خوذة الخلاص، وتناول سيف الروح الذي هو كلمة اللـه.

📖 صر مثال وداعة في الآلام للأخوة الناظرين لنفسك.

📖 وليتعجب الذين هم أكبر نسك من صبرك.

📖 وليُسَر الروح القدس الساكن فيك بشجاعتك.

📖 أما إن كنت لا تحتمل المحنة، فكيف تحتمل العظمة.

📖 وإن كنت لا تغلب صبياً، فكيف تصارع رجلاً كاملاً.

📖 وإن كنت لا تحتمل كلمة، فكيف تحتمل كلوماً.

📖 وإن كنت لا تحتمل لطمة وشجة، فكيف تحتمل صليباً.

📖 وإن كنت لا تحتمل صليباً، فكيف ترث المجد في السماوات، مع القائلين هذه النوائب كلها تقاطرت إلينا فما نسيناك، ولا ظلمنا في عهدك. وأيضاً "من أجلك نمات كل يوم، وحسبنا كغنم للذبح".

📖 أشاء إن أسكت أيها الحبيب من أجل خزي وجهي، لكن وجع قلبي يضطرني إن أتكلم.

نعم أيها الحبيب قد نسينا الأشياء التي أحتملها سيدنا كلها، من أجلنا شتم، ورذل، وسمع بك شيطان فلم يسخط، سمع أيها المضل فلم ينتقم، لطم، أهين، صلب، ذاق خلاً مع مر، طعن بحربة في جنبه، هذه كلها أحتملها من أجل خلاصنا.

ويلي أنا الشقي، ويلي أنا الخاطئ، فإنني بلا عذر ماذا أقول؟ وماذا أتكلم؟ أنت تعرف خفيات قلبي، أغفر لي اللهم أنا الغير مستحق، فإني لا أؤثر إن أسمع شيئاً بالكلية ولا كلمة من أجلك.

من لم يبكي على المقتني التورع حجاباً للرذيلة.

ترهبت بالكلام وأنا أسخط اللـه بأعمالي بالحقيقة.

من أجل تكاثر الإثم تفسد محبة نفوس كثيرة.

أتضرع إليكم يا أخوتي إن نتيقظ لدى الرب، فإنه لا يطرح المؤثرين إن يخلصوا، بل يؤازرهم.

فلنقل نحن مع النبي: "أرجعي يا نفسي إلى راحتك، فإن الرب أحسن إليك، لأنه نجى نفسي من الموت، وعيني من الدموع، ورجلي من الزلق، لأرضي الرب قدامه في أرض الأحياء".

لنؤهل إن نسمع القول "إن هذا ابني، وكان ميتاً فعاش، وضالاً فوجد". ولإلهنا المجد مع أبيه وروح قدسه. آمين

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ٢٢٧ ـ ٢٣١



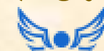
وقال أيضاً القديس مار إفرام:

أعظم الناس قدرًا هو مَنْ لا يبالي بالدنيا في يدي مَنْ كانت.

وقال أيضاً: ازهد في الدنيا فيحبك الله

وازهد فيما في يدي الناس فيحبك الناس.

كتاب فردوس الآباء ـ القديس مار إفرام السرياني ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٨٠



📖 **وقال أيضاً القديس مار إفرام:** خبز وملح مع سكون وراحة، أفضل من أطعمة ثمينة مع هموم وأحزان.

كتاب فردوس الآباء - القديس مار إفرام السرياني - الجزء الثالث - صفحة ٨١

📖 **قال مار إفرام:** "إن تهاونت بالأشياء البالية، تنال الأشياء التي لا تبلى، ليكن عقلنا إلى فوق، لأننا بعد مدة يسيرة ننصرف من هاهنا، فالأشياء التي جمعناها، لمن تكون؟".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٧٤

{١٤}

القديسة الأم سنكليتيكي

📖 **الفقر الاختياري:**

📖 **٩-** كانت هناك، إذ ذاك، ندوة تقوية تجري بين النسوة الحاضرات، لأنهن كُنّ يحتفلن بكؤوسٍ من الحكمة حيث تسكب الطوباوية سنكليتيكي الجرعة الإلهية، وكل واحدةٍ منهنّ كانت تأخذ ما تريد. ثم سألت إحدى المجتمِعات قائلةً: هل يُعتبَر الفقر الاختياري صلاح كامل؟ فأجابت القديسة: إنه بالتأكيد صلاحٌ للنسوة القادرات أن يتحمّلنه. لأنّ اللائي يُثابرن على هذه الحالة يكون لهنّ ضيقٌ في الجسد، ولكن سلامٌ في الروح.

📖 لأنه كما أنّ الملابس السميكة تُغسَل وتُبيَّض، بأن تُسحق وتُعصَر بقوةٍ، هكذا أيضاً النفس القوية، تتشدّد إلى أعظم درجةٍ بالفقر الاختياري. ولكنّ النسوة ذوات النزعة الضعيفة، تكون لهنّ خبرة مضادّة لتلك التي للنسوة القويات. إنهنّ حقًا عندما يُصقَلن قليلاً، يتحطّمن مثل الملابس الممزَّقة، إذ أنّ غسلها يجعلها لا تدوم على قوتها.

📖 ورغم أنّ القصّار يكون هو نفسه، فالنتيجة تختلف في الملابس،

فبعضها يتمزّق ويفسد، بينما يُبيَّض الآخر ويتجدّد.

📖 ويمكن أن يُقال، حينئذٍ، إنّ الفقر الاختياري صالحٌ لأن يُدَّخر للذهن الشجاع، لأنه حقًا لجامٌ ضدّ ارتكاب الخطايا.

📖 ١٠- ولكن من الضروري أولاً أن يتمرّس الإنسان في التقشُّفات، أعني الصوم، والنوم على الأرض، والتقشُّفات الأخرى، وهكذا يكتسب تلك الفضيلة {أي الفقر الاختياري}.

📖 إنّ الذين لم يواصلوا سيرهم بهذه الطريقة، ولكنهم اندفعوا فجأةً إلى ترك ممتلكاتهم، يتغلّب عليهم الندم.

📖 ١١- الممتلكات هي أدوات الحياة المخصَّصة للشهوات، فانزع أولاً "تجارتك" {لا تستخدمها}، وحينئذٍ يمكنك أن تستغني عن أدواتها المادية التي تتمثل في ممتلكاتك. لأنه من الصعب - حسب رأيي - أن تتخذ "التجارة" مجراها في غياب "الأدوات"

📖 لأنّ المرأة إن لم تتخلّ عن تلك "التجارة" فكيف تهجر أدواتها؟

📖 لهذا السبب، فإنه حتى المخلِّص في حديثه مع الغني، لم ينصحه بطريقةٍ فجائيةٍ بأن يطرح جانبًا كل ممتلكاته، بل إنه سأله أولاً إن كان قد حفظ وصايا الناموس.

📖 فإذ قام بدور المعلِّم الحقيقي، سأله أولاً إن كان قد تعلّم كيف يقرأ، ثم تقدّم إلى القراءة الفعلية وهي: «بِعْ أملاكك ... وتعالَ اتبعني» {مت١٩: ٢١}.

📖 وأنا أتصور أنّ الرب ما كان قد وجّهه إلى الفقر الاختياري، لو لم يكن قد أكّد أنه تمّم الوصايا، لأنه كيف كان يمكن له أن يتقدّم في "القراءة" {الروحية} بدون معرفة قيمة "مقاطعها"؟!

📖 ١٢- وهكذا فإنّ الفقر الاختياري صالحٌ للذين لهم عادات صالحة، لأنهم بمجرد أن يطرحوا عنهم جميع الممتلكات غير الضرورية،

يأتون للرب بعلامةٍ على تعهُّدهم، وهم يرتلون بطهارةٍ تلك الآية الملهَمة: «أعين الكل إياك تترجَّى، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه» {مز١٤٥: ١٥}.

١٣- وبطرقٍ أخرى أيضاً ينتفع الذين يعيشون حياة الفقر، لأنهم بعدم تركيز قلوبهم على المذّخر هنا على الأرض، يلتحفون بملكوت السماء، ويتمِّمون بوضوح تصريح المرتل داود النبي القائل: «صرتُ كبهيمٍ عندك» {مز٧٣: ٢٢}.

لأنه كما أنّ الحيوانات الأليفة في أدائها لمهامها الخاصة تكتفي بالغذاء الذي يُبقي على حياتها فحسب؛ هكذا أيضاً الذين يعيشون الفقر يعتبرون أن استعمال الفضة أمرٌ تافه، ويؤدّون أعمالهم اليدوية لأجل غذائهم اليومي وحده.

هؤلاء يمتلكون أساس الإيمان، ولأجلهم تكلّم الرب عن عدم اهتمامهم بالغد قائلاً: «أُنظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ... وأبوكم السماوي يقوتها» {مت٦: ٢٦}.

وبهذا الكلام يتشجّعون {لأن الله هو الذي قاله}، وبثقةٍ يهتفون بكلام الكتاب: «آمنتُ لذلك تكلّمت» {مز١١٦: ١٠}.

١٤- وفضلاً عن ذلك، فإنّ العدو يكون مقهورًا تمامًا أمام الذين يعيشون بلا ممتلكات، لأنه يفقد وسائل الأذى، حيث إنّ معظم أحزاننا وتجاربنا تنشأ عن ممتلكاتنا.

فأي سبيلٍ له للحرب ضدّ الذين هم بلا ممتلكات؟ لا شيء.

أيمكنه أن يحرق مقاطعاتهم؟

أم يُهلِك مواشيهم؟ إنهم لا يملكون أي شيءٍ منها.

أم يتملّك على أعزّائهم؟ ولهؤلاء أيضاً قالوا منذ زمانٍ: "وداعًا"!

وهكذا فإنّ الفقر الاختياري هو بمثابة رادعٍ قوي ضد العدو ككنزٍ ثمينٍ للنفس.

📖 **١٥-** وكما أنّ هذا الفقر يستحق الإعجاب، وله أهميته لأجل الفضيلة؛ هكذا فإن محبة المال بشرّها تستحق الازدراء والملامة.

📖 وحقًّا قال ق. بولس الملهم عن هذا الشر: «محبة المال أصلٌ لكل الشرور» {١تي٦: ١٠}.

📖 اشتهاء الثروة، والحِنث {أي عدم الوفاء بالوعد}، والسرقة، والنجاسة، والحسد، والحقد على الإخوة، والصراع، وعبادة الأصنام، والطمع ... سبب كل هذه الشرور هو محبة المال.

📖 لذلك فمن الصواب أن يعتبرها الرسول أُمّ كل الشرور. وهذه الشرور لا تسبِّب عقاب الله فحسب، بل إنها أيضاً بطبيعتها تسبِّب الهلاك. فهي تجلب الشر بلا حدود، كما أنها ليس لغايتها حدّ، ولذلك فإنّ جرحها عديم الشفاء. إنّ مَنْ لا يملك شيئًا يريد القليل، وبحصوله على هذا القليل يرغب في الأكثر.

📖 فواحدٌ يملك مائة عملة ذهبية، ويتطلّع إلى ألفٍ، ثم يستمر تطلُّعه بلا حدود. وهكذا عندما يعجز عن أن يضع حدًّا لطمعه، يظل يندب فقره! كما أنّ محبة المال تجلب معها الحسد الذي يُهلِك صاحبه أولاً.

📖 لأنه كما أنّ الأفعى السامة عندما تولد تُهلِك أمّها أولاً قبل أن تؤذي آخرين[٢]، هكذا أيضاً الحسد يضيِّع صاحبه قبل أن ينتشر ليُعدي مَنْ هم حوله.

📖 **١٦-** إنه لفائدة عظيمة إذا أمكننا، في سعينا إلى الثروة الحقيقية، أن نتحمّل ضيقات عديدة ضارّة، مثل تلك التي تواجه صيّادي الدنيويات الفارغة. إنهم يعانون من انكسار سفينة حياتهم، ويرافقون القراصنة، وعلى الأرض يقعون بين اللصوص، فضلاً عن أنهم يواجهون العواصف والرياح العنيفة، وعندما تزدهر حياتهم كثيرًا ما يقولون

[٢] لأجل هذه الفكرة الخاطئة التي كانت شائعة، انظر: Pliny, N. H. 10: 82

إنهم معوزين خوفًا من الحاسدين!
ومع ذلك فنحن لا نقوم بمثل هذه المخاطرات لأجل منفعةٍ حقيقية! ولكننا نحن النساء إذا ذُقنا بعض الربح القليل نكشفه للناس وننتفخ.
هذا بالإضافة إلى أننا كثيرًا ما ينقصنا أن نجعل روايتنا مشتملةً على ما حدث بالفعل، وهكذا يسلبنا العدو في الحال حتى من ومضة الصلاح التي نظن أننا ملكناها.

وهؤلاء الناس أيضاً، بينما هم يجنون منافعهم العديدة يدومون في سعيهم إلى الأكثر، وما يملكونه يعتبرونه كلا شيء، ويظلّوا يسعون وراء ما لا يملكونه. ومع ذلك فنحن لا نريد أن نملك أي شيءٍ، وحتى لو كنا لا نملك شيئًا مما كنا نسعى إليه، فنحن نسمِّي أنفسنا أغنياء حتى عندما نُبتَلى بفقرٍ مدقع.
فمن الصالح للمرء الذي يكون موفَّقًا ألاّ يعلن ذلك لأحدٍ، لأنّ مثل هؤلاء سيُعاقَبون أكثر، وما يظنون أنهم يمتلكونه سيُؤخذ منهم {أُنظر لو٨: ١٨}.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٧ ـ ٤٠



الثبات في الموضع:

٧٦- ليست كل الأساليب تناسب جميع الناس.
فليثق كل إنسان في استعداده الخاص به، لأنه من النافع لكثيرين أن يعيشوا في مجمع شركة، ولآخرين أن يتوحدوا.
فكما أن بعض النباتات يزداد ازدهارها عندما تكون في مواضع رطبة، في حين أنّ غيرها يكون أكثر ثباتًا في ظروف جافة. هكذا أيضاً بين البشر، فالبعض يزدهر في الأماكن الأكثر سموًا، بينما يتمم أخرون خلاصهم في الأماكن الأقل سموًا {أو الأكثر تواضعًا}.
كثير من الناس يجدون خلاصهم في المدن، وهم يتصورون كأنهم يعيشون في البراري. وكثيرون رغم أنهم يعيشون في الجبل، يضلّون بمعيشتهم حياة أهل المدن. فمن الممكن لمن يعيش مع جماعة أن

يكون منفردًا في أفكاره. ولمن يعيش منفردًا، أن يعيش مع حشد من الناس في ذهنه.

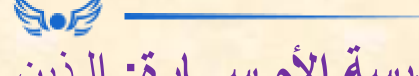
كتاب فردوس الآباء - القديسة الأم سنكليتيكي - الجزء الثالث - صفحة ٦١ - ٦٢



قالت أمّا سنكليتيكي:

الذين لا يملكون شيئًا يهزمون عدونا بسهولةٍ، فهو لا يملك شيئًا لكي يُؤذيهم به. فالكثير من الرهبان الذين كانوا متنبِّهين للمصاعب والتجارب التي تفصل المرء عن الله، قد اعتادوا على التضحية بالنفس بالزهد في الغِنى وجميع الخيرات.

كتاب فردوس الآباء - القديسة الأم سنكليتيكي - الجزء الثالث - صفحة ٧٣



قالت القديسة الأم سارة: الذين لا يملكون شيئًا يهزمون عدونا بسهولةٍ، فهو لا يملك شيئًا لكي يُؤذيهم به.

كتاب فردوس الآباء - القديسة الأم سارة - الجزء الثالث - صفحة ٧٦

{١٥}

القديس الأب زوسيما

قال الأب زوسيما: إنّ الشياطين متى رأوا إنسانًا ليس له ميل، أو تمسُّك بالأمور، ولا يحزن إذا فقدها، يعلمون أنه يمشي على الأرض دون أن يكون له هوى أرضي. فإذا كانت إرادة واحدة لإنسان شديدة الحرارة، يمكنها أن تقدّم لله في ساعةٍ واحدةٍ، ما لا يمكن أن تقدِمه إرادة أخرى في خمسين سنة.

كتاب فردوس الآباء - القديس الأب زوسيما - الجزء الثالث - صفحة ٩٧



قال الأب زوسيما:

ما عرفنا نحن البشريين المحبة ولا الإكرام، لكننا ضيّعنا عقولنا.

📖 لأنه إذا تحمّل إنسانٌ أخاه قليلاً إذا أحزنه أو أغضبه، ثم عاد بعد قليل إلى نفسه وعرف كيف احتمله، فإنه يضع ذاته من أجله.

كتاب فردوس الآباء - القديس الأب زوسيما - الجزء الثالث - صفحة ٩٧

📖 **{١} في التجرُّد:**

📖 عندما ابتدأ أنبا زوسيما في الكلام رسم أولاً علامة الصليب على فمه ثم قال: عندما صار كلمة الله إنسانًا، أعطى نعمةً وفيرةً للذين آمنوا، ولجميع الذين يؤمنون به.

📖 لأنه أصبح ممكنًا الآن، لو أردنا، أن نؤمن، ونبدأ مسيرتنا من اليوم. فبمجرد أن نرغب في ذلك بحرية إرادتنا، مع معونة النعمة، يصير ممكنًا لمن يريد، أن يعتبر العالم كله كلا شيء.

📖 ثم التقط شيئًا: قشّة، وقطعة من الخيط، وشيئًا أخر لا قيمة له.

📖 ثم قال: مَنْ يقاتل من أجل هذه، أو يتشاجر، أو يغتم حتى يفقد صوابه؟ إذا، عندما ينمو رجل الله، فهو يعتبر العالم كله مثل القشّة، ومع ذلك فهو يمتلك الكون.

📖 والواقع كما كنتُ دائمًا أقول: إنّ التملُّك في حدّ ذاته ليس ضارًا، إلاّ إذا ارتبط بالشهوة. مَنْ منا يجهل أن الجسد أثمن بكثير من الخيرات التي نمتلكها؟ كيف يحدث إذن أن يُطلَب منا أن نزدري به، متى استدعت الظروف ذلك {مت١٨: ٨}؟ فإذا كان الأمر هكذا بالنسبة للجسد، فكم بالأكثر بالنسبة للأشياء الخارجية؟

📖 فكما أنه ليس من المقبول أن نطرح عنا الأشياء بغير ضرورة، وبدون تروّي، وكيفما اتفق، هكذا أيضاً ليس مقبولاً أن يطرح الإنسان نفسه في الموت، فهذا يحدث من الجنون، بل أحرى بنا أن ننتظر الوقت لكي نوجد مستعدين.

📖 ثم ذكر القديس خبر الأخ الذي كان يمتلك حقلاً مزروعًا بالخضروات. وقال: أَلم يزرع، ويتعب، ويغرس، ويعتني؟

ثم أَلم يُقلَع ما زرعه، ويُطرَح؟

ولكنه كان حينئذ يعتبر نفسه كأنه لا يملك هذه الخضروات.

فهو لم يجزع عندما أراد الشيخ أن يمتحنه وداس عليها، ولم يُظهِر له أي شيء بل أخفى مشاعره.

وإذ تبقّى أخر قال له الأخ: إذا أردتَ يا أبي فاتركها لنعمل بها أغابي. حينئذ علم الشيخ أن الأخ كان خادمًا حقيقيًا لله وليس عبدًا للخضروات. فقال له: إنّ روح الله قد ارتاح فيك أيها الأخ!

فلو كان هذا الأخ يمتلك الخضروات عن شهوة، لأظهر ذلك على الفور بقلقه واضطرابه، ولكنه أظهر أنه كان يمتلكها وكأنه لم يكن يمتلكها {١كو٧: ٣٠}.

وقال: إن الشياطين تلاحظ ذلك، فإذا رأوا إنسانًا بدون شهوة للأشياء لأنه لا ينزعج أو يحزن، يدركون أنه مع كونه يمشي على الأرض، إلاّ أنه ليس فيه فكر أرضي.

كتاب فردوس الآباء ـ القديس الأب زوسيما ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٩٨ ـ ١٠٠

وقال {أنبا زوسيما}:

"إن الشياطين متى أبصروا إنساناً غير ماثل، ولا منصب إلى الأمور، فلا يحزن لفقدها، حينئذ يعلمون أن هذا الإنسان يمشى على الأرض وليس له هو أرضي، وذلك يرجع إلى الميول والحركات الخاصة بالنيات والإرادات لأنه يمكن لإرادة وحركة صادرة عن نية واحدة إذا كانت شديدة الحرارة، أن تقدم لله ساعة واحدة، ما لا تقدمه حركة نية أخري غي خمسين سنة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٧



{١٦}

الأنبا بولا الطموهي

عن الفقر والمسكنة

📖 بداية كل عمل أن تقتني مخافة الله، وأن تحفظ وصاياه {أم ١:٧}.

📖 هذه هي وصايا الله، يا بُنيَّ، فاحفظها:

📖 أسلك بمسكنة، وفي سيرة {رهبانية} هادئة بسيطة، بغير هَمٍّ {انشغال} وبفقرٍ وعوزٍ، لكي تمكث في راحة.

📖 لأنه بالمسكنة والعوز، يا أخي، ترتاح من الوجع.

📖 وبعدم الانشغال بشيء يُشفي الإنسان.

📖 لا تطلب كثرة الأعمال، فتعلم في أي حال أنت. ولا تضاعف أفكارك لكي تمكث في اطمئنان، وبغير تشويش.

📖 الآن إذا، يا بُنيَّ، تطلَّع إلى القديسين جميعاً، وتأمَّل كيف صاروا واحداً مع الله: لأنهم عاشوا في غربة، ومسكنة، وعوز، وفي عزلة من الكل، وذلك لكي يتقوُّوا على العدو، «تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض ... معتازين مكروبين مذلّين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم» {عب١١: ٣٧و ٣٨}.

📖 تذكَّر أيضاً أن مخلِّصنا قد أتى في فقرٍ، وترك لنا مثاله لكي نتبع خطواته {١بط ٢:٢١}، ونتشبَّه به كما هو مكتوب: «كونوا متمثِّلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» {١كو ١١:١}،

📖 وأيضاً تكونون له رسلاً آخرين. وهو عندما أرسلهم لم يأمرهم بعملٍ كثير، بل أوصاهم كثيراً بالمسكنة. وكما هو مكتوب في الإنجيل بحسب القديس متى: «وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا ... لا تقتنوا ذهباً ولا فضةً ولا نحاساً في مناطقكم ... ولا ثوبين ولا أحذية» {مت ١٠: ٧و٩و١٠}، وهذه جميعها قالها بخصوص المسكنة.

فلهذا لا تمشِ مع إنسان ينسيك طريقك، ويجعلك في حيرة وارتباك. ولا تدع لك شركة أيضاً مع إنسان ناعم العيش، مترفِّهاً بحسب هذا الدهر، لئلاَّ تفقد مسكنتك وفقرك، وتعود إلى الوراء.

كتاب الآباء ـ القديس الأنبا بولا الطموهي ـ الجزء الثالث ١٨٨ ـ ١٨٩



{١٧}

قداسة البابا شنودة الثالث

باسم الأب والابن والروح القدس
الاله الواحد آمين

فضيلة التجرد

نود أن نتكلم عن فضيلة تلزم لجميع الناس، لكن للرهبان بوجه الخصوص، وهي فضيلة التجريد:

ما معنى التجرد؟ ألا يملك الإنسان شيئا على الإطلاق.

كيف يعيش وهو لا يملك شيئا؟ نقول على الأقل يكون مستعدا في قلبه أنه لا يملك شيء، لا مال، ولا أثاثات، أي تجد الراهب أحيانا أثاثاته كثيرة في القلاية، وربما تجد عشرات الأنواع داخل قلايته. أين إذا فضيلة التجرد؟

١ ـ فضيلة التجريد:

أن تكون مستعدا أن تنقص الأشياء التي عندك، ولا تحزن، بل ولا تفكر أن تزيدها، وإن لم تزد لا تحزن. أي إنسان يدخل الدير مستعد ألا يكون له حتى السكن، ثم يسكن، ثم بعد ذلك يريد قلاية تفتح بحري وقبلي، وهواها جيد، وتفتح فوق وتحت، ويدخل الأمر في المزاج. ونسأل أين التجرد؟

ثم يا ليت يكون لديه قلايتين، أو ثلاثة، فما المانع؟ إذا أين التجرد؟ لا. التجرد شيء نذرناه في الماضي ونسينا.

📖 ٢. الإنسان الذي يتقن فضيلة الجريد ليس فقط لا يملك شيئا، وإنما أيضاً لا يشتهي شيئا. أي لا يشتهي أن يملك. "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم" {١يو ٢: ١٠}، الذي يشتهي شيئا يملكه إذا الله لا يكفيه، يريد إلى جوار الله أمور أخرى يملكها، وإذا كان يملك أشياء فأين فضيلة الفقر الاختياري؟

📖 أحيانا يحزن راهب لأنه لم يأخذ مرسه، أو مرسه أقل من غيره، أو ظن أنه أقل، أو صنف لا يعجبه ويريد صنفا أفضل.

📖 ٣. الراهب الذي تجرد عن العالم لا يبحث عن جودة الأصناف، بل يبحث عن جودة الفضائل، لكن جودة الأصناف أتته ملابس: هل هذا قماش جيد أم لا، غالي أم رخيص؟ أتاه أثاث هل هو جيد أم لا؟ يريد النجار يصنع له أثاث يتفنن فيها حسبما يشاء، الهواء لا يعجبه يريد شيئا يجلب له هواء، البلاط يعجبه يريد سجاد ومدفأة وأثاث كثير لا ينتهي. تسأل أين التجريد؟ تجد أن الإنسان تجرد من التجرد، فهذا أفضل وصف لحال هذا الإنسان.

📖 ٤. صفة أخرى للإنسان المتجرد:

📖 الإنسان الذي يتقن فضيلة التجرد، إن كان عنده شيء كأن ليس له، وإن ضاع هذا الشيء لا يتعب ولا يحزن. لديه قلم أبانوس ضاع فليكن لا يحزن، ساعته فسدت لا يحزن، إذا فقد منه شيء لا يحزن، وإذا اغتصب منه شيء لا يحزن، أي إنسان طلب منه شيئا يملكه لا يحزن، وإذا ظلم في شيء لا يحزن.

📖 الإنسان الذي مات عن جميع الأشياء ما يهمه في شيء نقص أو زاد، فهو مات عن كل شيء، الذي يحزن على شيء إذا هو لم يمت عنه، حب القنية في بستان الرهبان عبارة عن باب طويل ليتكم تقرأونه.

📖 الإنسان الذي يتقن فضيلة التجرد يعطي أكثر مما يأخذ، لأنه في العطاء ينحل من الأشياء التي عنده، يتخلص من أثقال الأشياء التي عنده، أما الذي يأخذ فهو يضيف أشياء إلى أشياء.

📖 والمشكلة الكبرى أن الإنسان يأخذ أشياء لا يستعملها، تسأله ماذا تفعل بها؟ لا يهمه أن يفعل بها شيئا هي مجرد أشياء معه في القلاية. لا أريد أن أكون قاسيا على أحد، وأقول إنك ستعطي حسابا عن كل شيء موجود في قلايتك وأنت لا تستخدمه، ربما يوجد من يحتاج لهذا الشيء الموضوع في قلايتك بلا استخدام.

📖 والأصعب من شيء موضوع في قلايتك ولا تستخدمه، أنه يظل موضوعا في قلايتك حتى يفسد، ولن تستخدمه ولا غيرك استخدمه. مثل راهب لديه ملابس كثيرة لا يستخدمها حتى أفسدتها العته، ولم يدع غيره يستخدمها. أو راهب لديه أنواع من الملابس، أو الأوراق، أو أمور كهذه في قلايته لا يستخدمها، وتظل حتى يأتيها فأر يقرضها، لا استفاد هو منها، ولا غيره استفاد. أمر القنية محتاج مناقشة.

📖 هناك راهب يأخذ ما يحتاجه فقط، وراهب أخر يأخذ كل ما يعطى له، سواء احتاجه أو لم يحتاجه. إذا أين ذهب نذر الفقر؟ هل هذه نظرة إلى الوراء والكتاب يقول "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح الملكوت الله" {لو ٩: ١٢}؟

📖 هل إنسان باع العالم يوم رهبنته وبدأ يكون له عالم جديد بعد رهبنته؟ ترك القنية يوم ترهب، ثم كون له قنية بعد رهبنته. مسألة يحتاج الإنسان أن يناقشها مع نفسه.

📖 ٦. المهم مسألة أخرى:

📖 الإنسان الذي مات عن العالم، كيف يملك وهو ميت عن العالم؟ رسميا كل ما عندك في القلاية هو ملك للدير، وأنت تأخذه بطريق الاستعارة، نعم استعارة دائمة، لكن لا تملكه أنت. أنت لا تملك.

📖 ليتنا لا نلوم على كثرة المقتنيات، المهم هل قلبك مستعد أن يتركها أم لا؟ يأتي السؤال هل أترك الأشياء التي تزيد عن حاجتي؟ هذا السؤال توبخه قصة الأرملة التي أعطت من إعوازها. فأنت إذا تركت ما يزيد عن حاجتك، إذا فأنت لم تعط من إعوازك. أما لو كنت تحتاج إلى شيء وأعطيته إذا هذا هو التجريد الحقيقي. لأن الشخص المتجرد بالمعنى العميق للكلمة، هو الشخص الذي يكتفي بالله، ومع الله لا يعوزه شيء، يقول "كفاني الله، أي شيء أخر قد أتنازل عنه".

📖 وأيضا يشعر بالإيمان أنه لو تنازل عن شيء من إعوازه، الله سيرسل له أخر مثله، أو أفضل منه، وإن لم يرسل له، إذا الله يعرف أنه غير محتاج لهذا الشيء، لأنه ما دام لم يرسل بديلا عنه إذا هو يعلم إني لا أحتاجه ويقول لي ذلك وأستطيع أن أحيا بدون هذا الشيء.

📖 لدينا أمثلة عجيبة من حياة الآباء الرهبان، مثل: الأنبا بيچيمي السائح، والأنبا موسي السائح، لم يكن لديهما حتى أوان للطعام في قلايتهما، كانا يخرجان للجبل ويقتاتان من أعشاب الجبل، ويشربان من مياه الندي، دون أن يحتاجا إلى كوب ماء.

📖 إذا كان هناك شيء يهواه قلبك وتتنازل عنه، إذا هذا تجرد حقيقي. ليس فقط تجرد عن هذا الشيء، إنما بالأكثر تجرد عن هوى قلبك، لأنه كون أن راهبا يقول: شيء يهواه قلبي، فهذا تعبير غير رهباني. المفروض أن قلب الراهب لا يهوى غير الله، فإن تعلق قلبه بشيء فلابد أن ينجيه من هذا التعلق.

📖 ٨. إذا فما معنى أن الرهبنة انحلال من الكل، وارتباط بالواحد؟

📖 التجرد جزء من الانحلال من الكل، أي مظهر من مظاهر الانحلال من الكل، فالذي يقتني كثيراً ولا يتجرد من هذا الكثير، إنما يضيف إليه كثيراً أخر، إذا ينطبق عليه قول سليمان الحكيم "كل الأنهار تجري إلى البحر، والبحر ليس بملاءن ... العين لا تشبع من النظر، والأذن لا تمتلئ من السمع، {جا ١:٧- ٨}.

📖 اجعل حياتك في الرهبنة من جهة الماديات حياة تفريغ، ومن جهة الروحيات حياة امتلاء، وبقدر ما تفرغ في الناحية المادية، بقدر ما يملك الله من الناحية الروحية.

📖 ٩. أيضاً التجرد يتعلق أو يرتبط بالقناعة: هل الإنسان قنوع أم لا؟

📖 يوجد إنسان يفرح كلما أتته أشياء كثيرة، وآخر يفرح كلما تخلص من الكثير الذي عنده.

📖 من الأشياء التي تمنع التجرد في أيامنا، أما الخيرات الكثيرة التي تأتي للأديرة، أو الهدايا الكثيرة التي تأتي لراهب معين، هدايا كثيرة ولا يستطيع أن يقول لا، والناس تهاديه كثيراً ولا يستطيع أن يقول لا، لا. إن لم يقل لا في الأخذ فليفرغ. يا ليت الراهب ينظر في قلايته كل فترة ويعمل عملية تفريغ، يريح القلاية من أثقالها.

📖 صدقوني يا آباء إني رأيت في أحد الأيام منظر عجيبا جدا، يجعل الإنسان لا يترك شيئا في قلايته، راهب تنيح ودخلوا قلايته وبدأوا يفرغوا قلايته، أعطوا الكتب للمكتبة، وملابسه لراهب، أو للعمال الذين بالدير، وملابسه السوداء لآخر، وراهب يقول أنا محتاج لهذا المكتب، وآخر يقول أنا محتاج لهذه الأواني وأواني تعطى للمجمع، فرغوا القلاية التي تعب فيها المسكين مدة قبل أن يرقد بسلام. ما دام الأمر كذلك ليته يفرغها هو ويأخذ أجرها.

📖 مار إسحق يعطي فضيلة أكبر من الفقر، قد يكون الفقر الاختياري فضيلة رهبانية، لكن هناك فضيلة أكبر هي فضيلة العوز، قد يكون الفقير فقيرا وراضيا بفقره، لكن الذي لـه فضيلة العوز أي يريد ولا يجد، أي أقل من فقير.

📖 ١٠. الشخص المتجرد يوجد في قلبه ميزان دقيق جدا للضرورات والكماليات، ما هي الضروريات، وما هي الكماليات؟

📖 كلما زاد تجده يجد أشياء كثيرة كمالية، وكلما زاد حبه للقنية يجد أشياء كثيرة من الكماليات دخلت في بند الضروريات، ويضطر يرسل خطابات لأهل العالم يقول لهم هاتوا وهاتوا، ضرورات، فيرسلون للراهب المسكين، ويزيد القلاية ثقلا، وإذا زادت الأشياء في القلاية تزداد الأثاثات، محتاج دواليب أكثر، وأدراج أكثر، ورفوف أكثر، حقائب أكثر، والأمر يزداد.

📖 وقد تجد إنساناً مقتنياته في أكثر من قلاية. متى يتجرد الراهب؟ متى يفي بنذر الفقر الذي نذره قديما، متى ينحل من هذه الروابط؟ متى يكتفي بما عنده، ويتخلص من الذي عنده، ولا يطلب شيئا جديد إلى الذي عنده؟

📖 ١١. الشخص المتجرد لا يهتم بمظهره، ربما أقل نوع من الملابس يكفيه، ولا يهتم بأنه يكون في مظهر أنيق جميل لطيف.

📖 الشخص المتجرد لا يطلب كثيراً، وكلما تعمق في التجرد لا يطلب قليلا، والذي وصل إلى عمق التجرد لا يطلب شيئا على الإطلاق، ويرى أن ما عنده أكثر مما يحتاجه.

📖 فضيلة الجرد قلنا إنها فضيلة رهبانية، لكن هي فضيلة الناس كلها، أي الآية التي تقول "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم" هذه

الآية تعطينا فكرة أعمق. كيف؟ لم يقل لا تقتنوا الأشياء التي في العالم، بل قال لا تحبوها.

📖 لا يليق أن تحبوها: أي ليس اقتناء الشيء فقط الذي يزيد عن الحاجة هو الخطأ، إنما حتى محبة هذه الأشياء دون أن يقتنيها الإنسان أيضاً خطأ، لأنه بمحبته لها يقتنيها في قلبه، وإن كان لا يقتنيها في مسكنه الخاص، لكنه اقتناها في قلبه.

📖 ١٢. الشخص المتجرد لا يحسد الذين يملكون، لأنه لا يريد أن يكون له مثلهم من الملكية، هو يريد أن يتخلص مما عنده.

📖 المسيح اختبر الشاب الغني بفضيلة الجرد وقال له "بغ كل مالك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني" {لو ١٨: ٢٢}، الشاب الغني لم يستطيع أن يتجرد فتعب ومضى حزينا.

📖 أصعب شيء أن الأشياء لا توجد في قلايتك، إنما توجد في قلبك، وتوجد في فكرك، وتهذ فيها النهار والليل، هذا ما يتعب الإنسان بالفعل.

📖 ١٣. الذي تجرد من ملكية الأشياء لا يدخل في صراعات، ولا نزاعات مع أحد، لكن الذي لم يتجرد قد يتصارع هذا لي وهذا لك، هذا من اختصاصي، وهذا من اختصاصك، وهذا. إناس غير متجردين، وهنا نرى أن التجرد ليس تجردا من الماديات، بل من كل شيء، تجرد أيضاً من الرغبات، تجرد من محبة الوظائف.

📖 يوجد إنسان يضعونه في الدير في مسئولية معينة، إن أخذوا منه هذه المسئولية يحزن لأنهم جردوه من المسئولية، وهو لا يريد أن يتجرد. وقد يتجرأ بدلا من أن يتجرد ويعمل مشكلة، ويحتج ويشكو لفلان، ويقول أخذوا مني كذا وكذا، ما الحكاية؟ الإنسان لم يتجرد بعد.

هل لما دخلت الرهبنة كنت تضع في قلبك أن تأخذ هذه الوظيفة؟ لكن مسألة التجرد لابد أن تكون في كل شيء، بحيث لا توجد روابط تربطك بشيء، كن متجردا من كل شيء.

١٤. عدم التجرد يتنافى مع فضيلة الغربة:

الإنسان الذي يحيا الغربة، ويشعر أنه غريب عن العالم، لا يقتني شيئا منه، فالعالم يبيد وما فيه، أي يساعد الإنسان على التجرد فضيلة الغربة، ويساعد الإنسان على التجرد فضيلة عدم الاهتمام بالغد، لأنه قد يأخذ إنسان شيئا ويقول لا أستعمله الآن لكن قد أحتاجه غدا.

ويساعد أيضاً على فضيلة التجرد محبة الله، لأنه لو أحب الإنسان الله من قلبه لا يحتاج لشيء أخر يفرحه، أو يسعده، أو يشبعه إلى جوار الله، فأكيد أن الإنسان الغير متجرد محبة الله لم تملأ قلبه بعد، ونظرته للماديات ليست نظرة الإنسان الذي مات عن العالم، ما زالت هناك ارتباطات تربطه بالعالم والمادة.

ما أسهل أن الإنسان يقول إن عدم التجرد من أجل غيره، لكي يضيف غيره، أو لكي يهتم بغيره، أو لكي يعطي غيره. هنا أقول كلمة لطيفة للقديس الأنبا يعقوب قال "الغربة أفضل من إضافة الغرباء".

أخذنا نقاط كثيرة في التجرد، لكن المهم أن نطبق كل واحد على نفسه في حدود نقطة الضعف التي عنده. قد يكون إنسان متجردا من الماديات، لكن لم يتجرد من الكرامة، يقول: كرامتي، يقول: هذه الكلمة أتعبتني، يقول: شخصيتي. لم يستطع أن يتجرد منها، لنرى من أين يمسكك منه العدو لتتجرد منه، وفي هذه النقطة يجب أن تنتصر بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد دائما آمين.

عظات رهبانية لقداسة البابا شنودة الثالث - صفحة 322 - ٣٣٧



{١٨}

القديس ديادوخوس الناسك

📖 **٦٦-** سوف يطلب الرب منا حساباً عن مساعدتنا للمحتاجين، طبقاً لما عندنا، وليس طبقاً لما ليس عندنا {ق.م. ٢كو ٨:١٢}.

📖 فإذا قمت في مخافة الله بتوزيع ما يمكن أن أعطيه، على مدار سنين كثيرة، في وقت زمني قصير، فعلى أي أساس أسائل، حيث أنني الآن لا أملك شيئا؟ ومن جهة أخرى، يمكن أن يجادل بأن: «مَنْ الآن سوف يعطى مساعدة للمحتاج، الذي يعتمد على العطايا المنتظمة، التي من وسائلي البسيطة؟

📖 الإنسان الذي يجادل بهذه الطريقة، يجب أن يتعلم ألا يُهين الله بسبب حبه للمال، لن يفشل الله في أن يعتنى بخليقته، كما يفعل منذ البدء، لأنه قبل أن يُحث هذا أو ذاك الشخص، على أن يعطى مساعدة، لم يكن ينقص المحتاجين طعام، أو ملابس، ويفهمنا هذا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٦٧

📖 يجب أن ننبذ، بروح الخدمة الحقيقية، القرينة الغبية التي تنشأ من الثروة، ويجب أن نبغض رغباتنا التي هي أن نبغض أنفسنا {ق.م. لو ١٤: ٢٦}. عندئذ لن نعد نمتلك ثروة نتمتع بتوزيعها، وسوف نبدأ بالشعور بعدم استحقاقنا بشدة، لأننا وجدنا إننا لا نستطيع الآن أن ننجز أي عمل صالح.

📖 بالتأكيد إنه في إعالتهم يوجد شيء من الصلاح فينا، طالما كنا حسن الأحوال، فنحن نطيع الوصية الإلهية بسرور، ونتمتع بمنح الأشياء. ولكن عندما نكون قد استنفذنا كل شيء، تأتي علينا كآبة غامضة، وشعور بالدونية، لاعتقادنا بإننا لا نفعل شيئا يليق بصلاح الله. في هذه الدونية العميقة تعود النفس الى ذاتها، وذلك لكي تنجز من خلال عمل الصلاة، ومن خلال الصبر، والاتضاع، ما لم تعد

تستطيع أن تقتنيه بواسطة العطاء اليومي لمساعدة المحتاجين. لأنه مكتوب «الفقير والمحتاج سيسبحان اسمك يارب» {مز ٧٤: ٢١ س}.

لم يرتب الله لمنح موهبة اللاهوت، لأي أحد لم يهيئ نفسه لمنح كل ما يملك لمجد الإنجيل، حينئذ وفي فقر بحسب مشيئة الله، يستطيع أن يظهر غنى ملكوت الله. إن هذا تم توضيحه في المزمور، لأنه بعد الكلمات: «أنت يا الله في حبك أعنت الفقراء» يستمر «إن الله يعطي كلمة لهؤلاء الذين يعلنون البشارة بقوة عظيمة» {مز ٩٨: ١٠-١ أس}.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٦٨

{١٩}

كتاب بستان الرهبان

قال شيخ:

"إذا كان راهب مقيماً في موضع، وأراد أن يصنع في ذلك الموضع خيراً ولم يستطيع، فلا يظن أنه إذا ذهب إلى موضع أخر، يستطيع إن يصنع ذلك الخير".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٨٥



كذلك قال شيخ: "إذا كان وجع يقاتلك في موضع ما، وتترك ذلك الموضع ظاناً منك أنه يخف عنك دون أن تقاتله، فأعلم إنك إذا لم تغلبه حيث قاتلك، فإنه سوف يسبقك إلى كل موضع تمضي إليه.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٨٥



وقال أخر: "كما إن الغرس إذا قلع من موضع وغرس في غيره، فلا يثمر ما لم يثبت في موضع واحد. كذلك الراهب الذي ينتقل من دير إلى دير، لا يثمر ما دام منتقلا"؟

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٨٧



📖 **سئل شيخ:** "كيف أسكن في دير بغير قلق؟".
📖 فقال: "ذلك بأن تعد نفسك غريباً، ولا تطلب لك فيه كلمة مسموعة. كما تقطع هواك، ولا تحسب نفسك شيئاً".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٨٧

📖 **وقال المغبوطة سفرنيكي:**
📖 "إذا كنت في دير فلا تستبدله بآخر، ولا الآخر بغيره. لئلا تستكمل زمانك بدون ثمرة، مثل الطائر الذي يقوم عن البيض فيفسده، ويصير عديم التوليد. كذلك الراهب الكثير التنقل، تبرد حرارة الرهبنة، وتموت من قلبه".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٨٧

📖 **وقال أخ لأنبا أغاثون:**
📖 "يا أبي أمرت أن أقيم في مكان ما، وأنني أجد قتالاً هناك، وأريد أن أرحل، أنني مستعد أن أنفذ الوصية، ولكنني أخشى القتال".
📖 قال له الشيخ: "إذا كان هذا الآمر مع أغاثون، فإنه يحفظ الوصية ويغلب القتال".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٨٧

📖 **مرض الأنبا أرسانيوس:** مرة احتاج إلى شيء قيمته خبزة واحدة. وإذ لم يكن له ما يشترى به، اخذ من إنسان صدقة وقال: "أشكرك يا إلهي يا من أهلتني لآن اقبل اصدقه من اجل اسمكم".
كتاب بستان الرهبان ـ طبعة بني سويف ـ صفحة ٥٩

📖 **قال أنبا أغاثون:**
📖 "إن كان أحد يحبني وانا احبه للغاية. وعلمت انه قد لحقتني نقيصة بسبب محبته، فإني اقطعه منى، وانقطع منه بالكلية".
كتاب بستان الرهبان ـ طبعة بني سويف ـ صفحة ٦٧

📖 **قال القديس برصنوفيوس:**

📖 "غرباء نحن، فلنكن غرباء بالكمال، ولا نحسب أنفسنا شيئاً، ولا نشاء أن يحسبنا أحد فنتنيح ـ جاهد أن تموت في القبر من كل إنسان، وقل لفكرك: لقد مت ووضعت في القبر وأنت تخلص، وليس غلق الباب هو الموت، بل غلق الفم، والطاعة هي أيضاً مطفئة لجميع سهام العدو المحماة.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٥٩



📖 **سأل القديس مكاريوس الإسكندري القديس أرسانيوس:**

📖 "هل حسن للإنسان ألا يكون له أي شيء يتمتع به بالكلية في قلايته؟ لأني أعرف أخاً كان عنده بعض أعشاب الحدائق في قلايته، ولكي يمنع نفسه من التمتع بها اقتلعها من جذورها".

📖 فقال القديس أرسانيوس له: "هذا حسن، ولكن على كل إنسان أن يعمل ما يستطيع عمله، وإذا لم يكن لديه القوة ليثبت في هذا، فإنه ربما يزرع غيرها فيما بعد، ويتمتع بها".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧١



📖 **قال أنبا أوغريس:** "الذي ليست له محبة للقنية، لهُ حياة بلا اهتمام، أما المحب القنية، فله منغص في قلبه، الذي هو الاهتمام".



📖 **سأل أخ شيخاً قائلاً:** "قل لي شيئاً أحفظه؟"

📖 فقال له: "أحفظ {تحفظ من} التعبير والسب.

📖 وأصبر على التحقير، والضعف الجسداني".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٤

📖 **قال القديس إبيفانوس عند خروج نفسه:**

📖 "لا تحبوا متاع الدنيا، فتستريحوا وتفرحوا في الأخرة".

📖 "تحفظوا من لذات العالم، فلا يقوي عليك وجع الشيطان".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٤



وقال أحد الشيوخ لتلاميذه عند خروج نفسه:

"لا تشتهوا متاع الدنيا، فتزدادوا متعاً كثيراً".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٤

وقال أنبا أغاثون:

"إن الإنسان الذي يأسف على فقدان شيء منه، فهو ليس بكامل بعد، فإن كنا قد أمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا، فكم بالحري المقتنيات. إن الشياطين تحترق، وترتاع عندما ترى إنساناً قد شتم، أو أهين، أو خسر شيئاً ولم يغتم، بل أحتمل بصبر وجلد.

أو إذا رأوه غير متلفت إلى الأشياء، ولا آسف عليها إذا فقدت. لأنها تعتقد وتعلم بأنه يمشى على الأرض بغير هوى أرضى، وأنه قد سلك في طريق الله".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٤ ـ ١٧٥

سأل أخ شيخاً: "ما هي الغربة؟"

فقال له الشيخ: "إني أعرف أخاً، هذا خرج ليتغرب، فدخل إلى الكنيسة، وأتفق أن كان هناك أغابي، حيث كان كثيرين مجتمعين، فلما تهيأت المائدة جلس يأكل مع الأخوة، فنظر إليه إنسان وقال: "من أدخل هذا الغريب معنا؟". ثم قال: "أخرج خارجاً"، فقام وخرج، كما أومر بدون تذمر.

"فلما أبصر ذلك آخرون، حزنوا، وخرجوا فأدخلوا، فدخل".

فقال له أخ: "ماذا كان في قلبك حين أخرجوك وحين أدخلوك".

فقال: "حسبت إني كلب، إذ طرد خرج، وإذا دعي دخل".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣١٨



قال راهب:

"الصمت في جميع الأمور هو "الغربة".

والغربة بالحقيقة هي "الصمت".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٧٦

